محمود صلاح

أشهر الحوادث والقضايا



جرائم النساء

وحوادث أخرى



اشهر

الحوادث والقضايا

•

الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روعت الناس
وصدمت المشاعر

•

بقلم

أ. محمود صلاح

•

إشراف

أ. حمدى مصطفى

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع : ٨٠ ، ١٠ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - منافذ البيع : ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ . فاكس : ٢٠٢/٢٥٩٦٦٥٠ ج.م.ع - ٤ شارع بدوى محرم بك - الإسكندرية .



اشهر

الحوادث والقضايا

•

الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روعت الناس
وصدمت المشاعر



جرائم النساء

محمود صلاح

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٢٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٠٢ - ٦٨٢٧٠

المقدمة

عندما تغضب الدنيا ..

تثور ثائرتها .. زلازلاً .. وفيضانات .. وسيولاً ..

وعندما تعمى بصيرة الإنسان ..

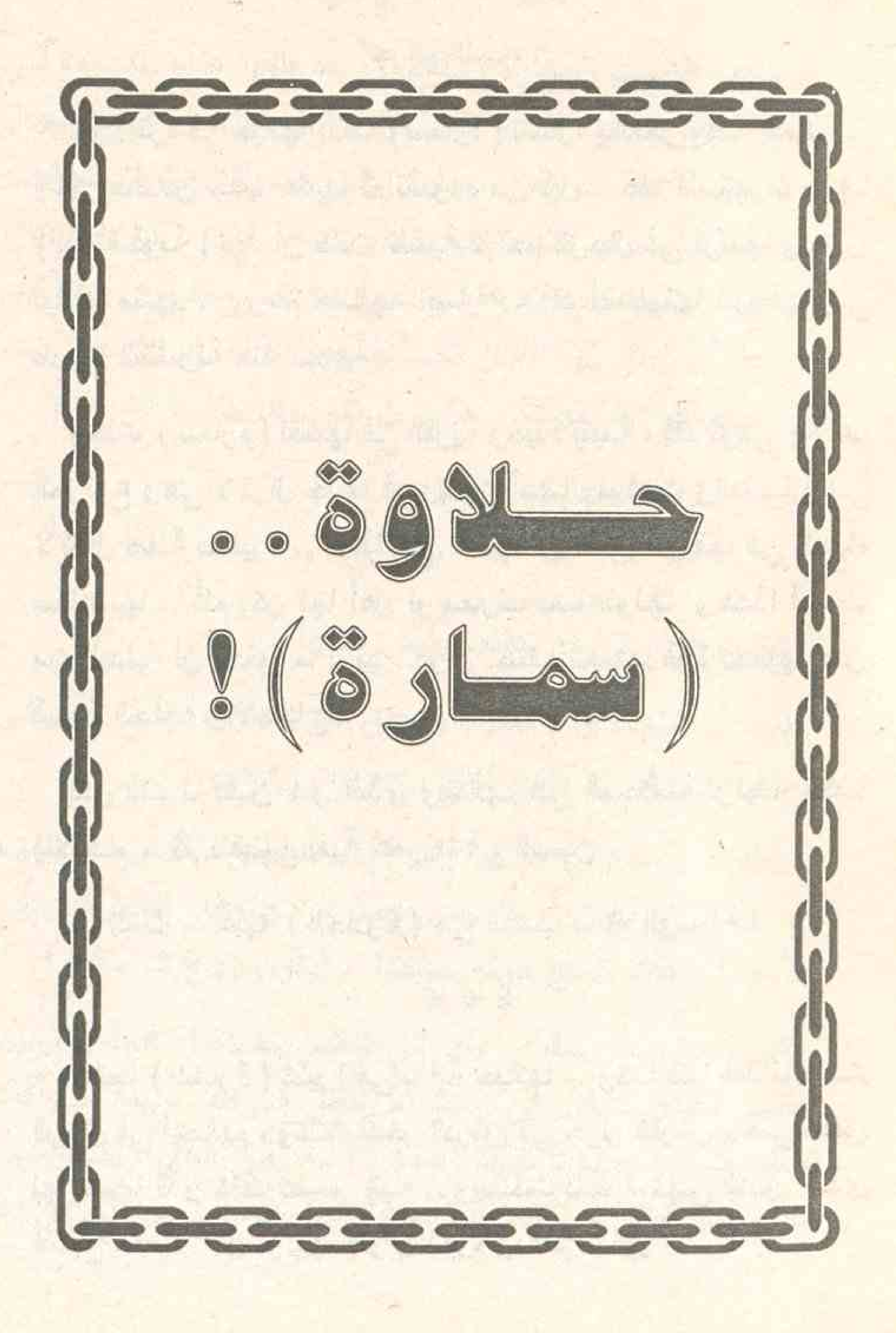
يشيع العنف على الأرض .. حوادثًا وحرائقًا ونارًا ..

لكنه أبدًا لا يتعظ ..

لا من غضب الدنيا ..

ولا من شر أعماله !

محمود



لأول مرة فى حياتها بدأت (سمارة) تشعر بالعجز وقلة الحيلة .. وهو إحساس جديد عليها لم تتعوده من قبل .. فقد اشتهرت بأنها (امرأة قوية) منذ أن كانت صبية تزاحم الرجال فى قريتها وتعمل بيديها مثلهم .. ورغم جمالها الصارخ ، فقد اضطرتها ظروفها إلى طريق الخشونة منذ البداية .

وجدت (سمارة) نفسها فى القرية وحيدة يتيمة ، فقد توفى والدها المزارع وهى لاتزال جنينًا فى بطن أمها وتوفيت والدتها وهى لاتزال طفلة صغيرة .. هكذا كان عليها أن تشق طريقها فى الحياة بساعديها .. فلم يكن لها أهل أو معارف يساعدونها وهكذا قررت من البداية أن تحقق ماتريد .. وأن تصنع لنفسها قوة تحميها من قسوة الحاجة والاحتياج .

لكن ذلك لم يكن هو الذى وضعها فى المحكمة تواجه حكمًا بالإعدام .. ثم لتقضى بقية عمرها فى السجن .

بل كانت .. علبة (الحلاوة) هى السبب .. أو الوسيلة !

★ ★ ★

عانت (سمارة) كثيرًا فى بداية حياتها .. وكما قلنا فقد نافست الرجال فى أعمالهم ، وكانت تدخر القرش إلى جوار القرش ، حتى تحقق لها حلمها الذى كانت تصبو إليه .. وامتلكت ذلك المقهى الكبير الذى أصبح مقصد أهل قريتها طوال اليوم وبعض الليل .

وعندما افتتحت (سمارة) المقهى ، بعد طول عناء تنهدت فى ارتياح ، وهى تشهده يغص بالزبائن والنقود تنهال عليها طوال اليوم .. وهنا فقط نظرت (سمارة) إلى المرأة لتكتشف الحقيقة المذهلة .. لقد جرى قطار العمر خلال رحلة كفاحها المريرة دون أن تشعر .. نسيت أنها امرأة فى صدرها قلب يخفق .. وها هى الآن بعد أن تحقق لها الأمان تجد نفسها قد تعدت الأربعين من عمرها لتواجه الشيخوخة .. دون أن تكون قد عاشت الشباب !

وهنا قررت (سمارة) أن تتزوج !

★ ★ ★

اتخذت قرار الزواج بعقلها وليس بقلبها ..

فبعد أن انتهت أيام الفقر ، وتحقق لها الأمان ، بدأت تفكر فى الاستقرار ، وفى أن يكون لها زوج وبيت وأطفال !

ونظرت (سمارة) حولها بين رواد المقهى لتختار من بينهم من يصلح لأن يكون زوجًا لها .. وسرعان ماوقع اختيارها على أحدهم .. وبدأت تنسج حوله شباكها .. ليكون زوج المستقبل !

كان رجلاً هادئًا مسالمًا .. يأتى إلى المقهى بعد العمل فيجلس وحيدًا يحتسى الشاى .. يفكر فى صمت ثم ينطلق إلى حال سبيله .. وأكدت المعلومات التى حصلت عليها (سمارة) أنه رقيق الحال لايملك شيئًا سوى أجر عمله .. وكانت هذه ـ من وجهة نظرها ـ ميزة أخرى تؤكد

صحة اختيارها .. فقد كانت امرأة مسيطرة ولم تكن تريد أن يكون زوجها قويًا بماله حتى لا يختلفا .. كل ما كانت تريده .. زوج مسالم لا يعصى لها أمرًا !

★ ★ ★

وكالعادة .. حصلت (سمارة) على ما تريد !

فبعد أن بدأت تتقرب إلى الرجل الطيب صارحته ذات يوم بأنها ترغب فى أن يكون زوجًا لها ، وفوجئ الرجل .. لكنه لم يستطيع أن يخفى عنها موافقته وسعادته بأن يتزوج صاحبة المقهى الكبير .. المرأة التى ذاعت شهرتها بين أهل القرية ، لجمالها وكفاحها ومركزها الذى وصلت إليه دون مساعدة من أحد !

وتزوجت (سمارة) !

أصبح لها زوج مخلص ، ورغم أنه لم تكن هناك (مشاعر ساخنة) تربط بين الاثنين إلا أن الرجل بطبعه ومنذ البداية حرص على إرضائها قدر إمكانه .. ولم يكن هذا سهلاً .. و .. بات واضحًا منذ اليوم الأول لزواجها .. أنها صاحبة الأمر والنهى .. وأنها بالفعل (رجل البيت) ..

وبدأ الزوج المسكين يعانى فى صمت من سطوة زوجته وعنفها .. لكن أشد ما كان يؤلمه هو حرصها الدائم على أن تؤكد له كل يوم أنها هى التى تنفق على البيت .. وأنه لا يمتلك سوى صفرًا كبيرًا أمام ثروتها التى بدأت تدخرها من ربح المقهى !

وتصدعت حياتها الزوجية قبل أن تسير فى مجراها الطبيعى .. عندما جاء الزوج ذات يوم ليعلن لها أنه قرر السفر إلى العراق للعمل هناك ..

قالت له : تريد أن تسافر لتجمع ثروة حتى تصبح رأسك مساوية لرأسى .. لا بأس أنت حر .. سافر كما تشاء !

★ ★ ★

لكن لا مبالاة (سمارة) بسفر زوجها إلى العراق لم تستمر طويلاً ..

فى البداية لم تعبأ بسفره ولم تهتم بأقاويل رواد المقهى وأهل القرية .. فقد تعودت منذ صباها أن تضرب بكلام الناس فى الحائط واستمرت فى لا مبالاتها حتى جاء فتحى ذات يوم إلى المقهى !

لم تستطع أن تبعد عينيها عنه منذ اللحظة الأولى .

شاب وسيم أسمر العينين عرفت أنه جاء ليعمل مشرفًا زراعيًا بالقرية .. هل أحبته (من النظرة الأولى) ؟

لا تدرى (سمارة) .. لا تدرى سوى أن فتحى أصبح اهتمامها الأول والأخير تنتظر حضوره إلى المقهى على أحر من الجمر .. فإذا جاء نسيت عملها وجلست تنظر إليه ساهمة شاردة !

وكان هذا غريبًا .. أن تشعر بالحب لأول مرة .. وعمرها قد وصل إلى الخمسين .

أستيقظت فى قلبها كل المشاعر الدفينـة .. وملكت عليها قلبها وحواسها .. فهامت به حبًا !

ولم تطق (سمارة) أن تطوى سر حبها فى قلبها .. وكعادتها .. قررت أن تحصل على ما تريد .. أو .. فى هذه المرة .. على ما يريده قلبها !

بكل الجرأة وطيش الحب .. اختلقت مبررًا لتنفرد بالشاب الوسيم .. وبكل الجرأة صارحته بمشاعرها .. وكادت أن تصاب بالجنون عندما فوجئت به يعترف لها ..

وأنا أيضًا .. شعرت بأننى وقعت فى هواك من اللحظة الأولى !

قالت والسعادة تغمرها : إذن .. لننهل من هذا الحب .. فالحياة قصيرة .

لكن حبيبها أطرق صامتًا ، ثم عاد ليقول لها بأسى : كيف .. وأنت متزوجة ؟

وكانت الإجابة .. جريمة قتل بشعة .

★ ★ ★

نعم هى امرأة متزوجة .. إذن لابد أن تحصل على حريتها حتى تتزوج بمن أحبته !

وأسرعت ترسل إلى زوجها تطلب إليه أن يحضر ..

فرد عليها : لا يمكن .. عقد عملى ينص على أن أبقى حتى نهاية العام .

أرسلت إليه بجرأة تطلب منه أن يطلقها ..

فرد عليها : كلا .. لقد تزوجتك بأمر منك .. ولن أطلقك بأمر منك .. انتظرى حتى أعود .. ونتناقش .

لكنها لم تنتظر .. كانت مشاعرها قد تحولت إلى ما يشبه الجنون .. وفى لحظة كانت قد قررت أن تتخلص نهائيًا من زوجها المسافر .. لتتزوج من حبيب القلب .

وهداها شيطانها إلى فكرة جهنمية لتتخلص من زوجها على بعد مئات الآلاف من الأميال ، اشترت علبة (حلاوة طحينية) كانت تعلم أن زوجها يحب هذا النوع من الحلوى .. وفتحت العلبة ... ووسط الحلوى دست له كمية من الكلور السام !

لكن الجريمة لم تنفذ كما خططت لها ، أعطت علبة الحلوى إلى أحد أبناء القرية المسافرين إلى العراق وطلبت منه توصيلها إلى زوجها .. وبالفعل تلقى الزوج علبة الحلوى .. وجلس سعيدًا ليتناول منها .. لكن فى نفس اللحظة دق باب بيته خمسة من أصدقائه المصريين العاملين بالعراق .

فرحب بهم قائلاً : أهلاً وسهلاً .. جئتم فى موعد مناسب تفضلوا لتأكلوا معى هذه الحلوى اللذيذة ..

وقبل الأصدقاء الدعوة .. أكلوا الحلوى مع الزوج .. فكانت نهايتهم .. ماتوا جميعًا !!

★ ★ ★

وأحيلت (سمارة) إلى محكمة الجنايات التى قضت فى النهاية بإعدامها .. فأسرعت تطعن فى حكم الإعدام ..

وقال محاميها إنه لايوجد مايثبت أن علبة الحلوة لم تتعرض للعبث من أى يد غريبة خلال سفرها من مصر إلى العراق !

فقضت المحكمة بالغاء حكم إعدام (سمارة) وبإعادة محاكمتها مرة أخرى ..

ومنذ أيام قضت محكمة جنايات المنصورة برئاسة المستشار (البسطويسى عبد القادر) بمعاقبة (سمارة) بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وهى الآن فى السجن .. عمرها حوالى خمسين عامًا .. والمفروض أن تقضى خمسة وعشرين عامًا أخرى .. إذا أطال اللّه فى عمرها .. فى الزنزانة !

★ ★ ★

البريئة .. قاتلة زوجها !

لم تكن جريمة (منى) عادية .. وكذلك لم تكن حياتها !

وهى لم تحلم يومًا بأن تكون فى لحظة .. أشهر الزوجات .. لكن هذا ما حدث .. عندما قتلت زوجها .. وحدث ، عندما قرر القضاء أنها لا تستحق الإعدام .. وأنها بريئة .. رغم أنها قتلته بالفعل !

كيف ؟

الإجابة طويلة ومثيرة .. من خلال تفاصيل قضية المرأة التى قتلت زوجها .. ووجهت له ١٧ طعنة قاتلة .. وحصلت على حكم البراءة !

★ ★ ★

القصة من نهايتها كما ترويها أوراق القضية ، وكما سجلها المحقق (محمد صبحى عبد الحميد) وكيل نيابة حى مدينة نصر الذى قال فى بداية محضر التحقيقات : فى أثناء تواجدى بالمنزل اتصل بى الرائد (أسامه المغازى) رئيس مباحث مدينة نصر وأبلغنى بوقوع حادث قتل فى شارع (سيبويه) .. فانتقلت إلى هناك حيث التقيت بوالد المتهمة وعاينت مسرح الحادث ، وهو عبارة عن شقة مكونة من ٦ حجرات ، وتلاحظ أن محتويات حجرة النوم مبعثرة وبها جثة المجنى عليه .. والجثة مصابة بطعنات فى الصدر والظهر وخلف الرقبة وتوجد آثار دماء على رأس جثة الرجل الذى كان يرتدى (بيجامة) زرقاء .. وتوجد بقع دماء بأنحاء مختلفة من الشقة !

★ ★ ★

كان هذا هو القتيل ..

وما كان على المحقق إلا أن يبدأ فى سماع اعترافات الزوجة القاتلة واستجوابها ..

قالت : اسمى (منى) .. وعمرى خمسة وأربعون عامًا .

المحقق : ما هى تفصيلات اعترافك ؟

(منى) : يوم الخميس الماضى ذهبت بالسيارة لإحضار ابنتى التى كان لديها بروفة فى مسرح فريد الأطرش ، لكن السيارة تعطلت بنا فى الطريق وعندما عدنا إلى المنزل ، بعد أن ساعدنا المارة على إصلاحها ، رويت لزوجى (عبد الفتاح) ما حدث ، وطلبت منه أن نذهب فى الصباح إلى الميكانيكى لاصلاحها .. لكنه شتمنى وظل يصرخ قائلاً إنه كان يريد السفر فى الصباح بالسيارة إلى مدينة الإسماعلية .. فقلت له إننى سأذهب لإصلاح السيارة فى الصباح .. وفعلاً فى الصباح طلبت من ابنى (عادل) أن يذهب بالسيارة لإصلاحها .. وذهب ، لكنه وجد الميكانيكى غير موجود .. وعندما سمع زوجى ذلك ثار وهاج وطلبت من الأولاد النزول إلى المحل الذى نمتلكه أسفل المنزل حتى لا يسمعوا الشتائم .

ويزداد انفعال (منى) وهى تقترب من وصف كيفية حدوث جريمة القتل ..

وتقول : كان فى منتهى الثورة ، وأسرع إلى الداخل وأحضر سكينًا وأقبل على فى غرفة النوم والشر ينطق فى عينيه . وكنت وقتها أقوم

بإعداد الفراش فأسرعت بنزع لوح خشبى وضربته لأبعده عنى .. فعاد مرة أخرى يهاجمنى فضربته بقطعة الخشب بكل قوتى فسقط على ظهره ، وسقطت السكين من يده .. فأمسكتها وطعنته فى صدره ، ولم أشعر بنفسى وهو يحاول النهوض وظللت أطعنه فى أى موضع !

تتهدج أنفاسها من الانفعال ..

ثم تكمل : والتقطت بطانية كانت بجوارى وألقيت بها عليه وكلما حاول النهوض كنت أطعنه بالسكين .. ولا أتذكر كم مرة طعنته لأنى لم أكن فى وعيى .. وعندما شعرت أنه (انتهى) لففته فى البطانية وكان عندنا حقيبة كبيرة فى الشرفة ففكرت بإخفاء الجثة داخلها ، حتى إذا صعد الأطفال لا يشاهدونها .. وفعلاً حاولت أن أضع الجثة فى الحقيبة بأى شكل ثم أغلقتها عليه .. وذهبت لأغسل يدى وقميص نومى وأزلت آثار الدماء .. وفكرت أن أحرقه فى الحمام .. لكنى شعرت بالخوف وجلست أفكر فى الحجرة ماذا أفعل ولم أشعر بنفسى إلا وأنا أنام جالسة من التعب .. لأن أعصابى كانت متوترة للغاية .. لكن بعد قليل استيقظت على صوت جرس الباب وكان أولادى الذين قالوا إنهم دقوا الباب أكثر من مرة .. وعندما سألونى عن والدهم .. أخبرتهم أنه سافر إلى الإسماعيلية .. لكنى منعتهم من دخول حجرة النوم بحجة أنها مبعثرة المحتويات وغير نظيفة ثم اتصلت بعمى وطلبت منه الحضور فورًا .. وعندما حضر أبلغته بما حدث .. وأبلغته برغبتى فى إبلاغ الشرطة .. وفعلاً ذهب مع والدى وأبلغا الشرطة بما حدث .

★ ★ ★

عاد المحقق يسأل (منى) بالتفصيل عما حدث قبل واقعة قتلها لزوجها .

المحقق : لماذا حاول الاعتداء عليك بالسكين ؟

(منى) : كان عصبيًا فى معظم الأحيان .. وكان دائمًا يضربنى ويضرب الأولاد ويسبنى بشتائم بشعة .

المحقق : لكن لماذا طلبت من أولادك مغادرة المنزل ؟

(منى) : عندما بدأ يشتمنى لم أرد أن يسمع الأولاد هذه الشتائم .

المحقق : وماذا حدث بعد انصراف الأولاد ؟

(منى) : ظل يشتمنى ثم فوجئت به يدخل الغرفة وهو يحمل السكين وقال : سوف أستريح وأخلص عليكم .. كان الشر فى عينيه فضربته بلوح الخشب ، لكنه اندفع نحوى ، ضربته مرة أخرى فوقع ووقع السكين من يده فأخذتها وظللت أطعنه .

المحقق : ما عدد الطعنات التى وجهتها إليه ؟

(منى) : لا أتذكر .. لكنى كنت أطعنه فى أى مكان لم أكن أشعر بنفسى من شدة الخوف .

المحقق : كيف كانت حالتك ؟

(منى) : كنت قد فقدت كل أعصابى .. كنت مثل الشريرة .. ربنا أعطانى قوة ولم أكن أشعر بنفسى .. كنت خائفة أن يقوم ويقتلنى .. وانتهزت فرصة وقوع السكين من يده فأخذتها وظللت أطعنه .

المحقق : ما هى الألفاظ التى كنت ترددينها خلال ذلك ؟

(منى) : لم أكن أشعر بشىء .. لكنى فى نفس الوقت شعرت أننى (لست أنا) شعرت أننى طويلة .. ضخمة .. ذات قوة شديدة !

وأضافت (منى) .. ساعة الجريمة شعرت بأننى طويلة وضخمة أكثر من اللازم !

وعاد المحقق ليواصل استجوابها :

المحقق : وما سبب تصميمك على التخلص من حياة زوجك ؟

(منى) : لأنى شعرت بأننى لو تركته كان سينهض ويقتلنى !

المحقق : ومن أين حصلت على الحقيبة التى وضعت بها الجثة ؟

(منى) : كانت الحقيبة فى الشرفة .

المحقق : وكيف تمكنت من وضع الجثة بها ؟

(منى) : بعد ما لفيته بالبطانية دفعته إلى داخل الحقيبة وأغلقتها .

المحقق : وكيف تخلصت من آثار الدماء ؟

(منى) : الدماء كلها كانت على أرض الشرفة وأحضرت قطن الوسائد وأزلته بها ثم وضعت القطن مع الجثة فى الحقيبة .. أما السكين فقد نسيتها !

المحقق : ولماذا اتصلت بعمك ؟

(منى) : لأننى لم أرد إخبار أبى لأنه كان كلما أخبرته بشىء كان يرد على بأنه مريض بالسكر ، وإنه على استعداد لإعطائى أى نقود أحتاجها لحل مشاكلى ولذلك اتصلت بعمى حتى يذهب معى لقسم الشرطة .

المحقق : وماذا دار بينك وبين عمك ؟

(منى) : عندما طلبته سألنى إن كنت زعلانة من زوجى ، فقلت له نعم .. فطلب أن يحدثه ، لكنى زعمت له أنه سافر إلى الإسماعيلية .. فحضر وقلت له : أنا عملت شيئاً غير طيب .. فرد على أنت عمرك لم تفعلى شيئاً سيئاً .. فماذا فعلت ؟ قلت له : أنا قتلت زوجى .. ولم يصدق عمى فرويت له ما حدث .. وكان رده : يا ابنتى القانون لا يظلم .. فقلت له : وأنا أريد إبلاغ الشرطة .. فأحضر والدى وذهب معه إلى قسم الشرطة وعادا ومعهما ضابطا وكنت فى انتظارهم وأرشدتهم إلى مكان الجثة .

★ ★ ★

كانت اعترافات (منى) واضحة وصريحة ، لقد قتلت زوجها (عبد الفتاح) ، عندما هاجمها بالسكين .. وشعرت أنه سوف يقتلها إذا لم تقتله هى !

لكن المحقق عاد ليسألها :

المحقق : منذ متى وأنتما متزوجان ؟

(منى) : منذ عام ١٩٦١ ، أى منذ ٢٦ عاماً ..

المحقق : وهل كانت بينكما خلافات سابقة ؟

(منى) : نعم .. لقد كان يعاملنى معاملة سيئة للغاية وأصبح دائم التعدى على بالسب والضرب ، كما أنه تعود على ضرب أولادنا بقسوة .. وفى نفس الوقت لا ينفق على المنزل فأضطر إلى إحضار نقود من والدى لأنى أريد أن أفى بالتزامات المنزل .

المحقق : لكن ما سبب هذه الخلافات ؟

(منى) : هو أحيانا يكون كويس ، لكن معظم الوقت تثور أعصابه ويسبنا ويضرب الأولاد .

المحقق : هل كان زوجك يعانى من أى أمراض عصبية ؟

(منى) : نعم منذ حوالى ست سنوات ثار علينا فأخذه أخى والبواب إلى المستشفى وأسرعت إلى المستشفى وأخبرنا الطبيب أن زوجى مصاب بهستيريا وظل يسألنى عن الأعراض التى يعانى منها ، وكان يخلط بين الأيام وإذا صححت له كان يثور ويسبنى .

المحقق : وهل تم إعطائه أية أدوية ؟

(منى) : نعم .. لكن فى الفترة الأخيرة لم أكن أعلم عنه شيئًا .

المحقق : وهل حاول الاعتداء عليك من قبل .

(منى) : نعم كثيرًا ما كان يعتدى على ، لكن ليس بهذه الوحشية .

المحقق : وماذا كان قصدك من الاعتداء عليه بالسكين ؟

(منى) : كنت أريد أن أقتله .

المحقق : لماذا ؟

(منى) : لو لم أقتله كان سيقتلنى !

المحقق : لماذا لم تتركيه وتنصرفى عقب سقوطه على الأرض ؟

(منى) : شعرت بالخوف ، إنه لو نهض سوف يقتلنى !

المحقق : ولماذا لم تبلغى الشرطة عقب الحادث ؟

(منى) : كنت فى حالة ذهول .. ولم أكن أعرف ماذا أفعل ؟

المحقق : ذكرت فى أقوالك أنك فكرت فى حرق الجثة فى الحمام ؟

(منى) : نعم قلت ذلك .. لأنى لم أكن فى وعيى ولم أكن أتخيل ما حدث ولم أكن أعرف كيف أتصرف .

المحقق : وما عدد أولادك من زوجك ؟

(منى) : الولد الكبير عمره ١٣ عامًا ، والبنت عمرها حوال ١١ عامًا ثم البنت الصغيرة ٨ سنوات والطفل الصغير حوالى سنتان .

★ ★ ★

كان التحقيق مع (منى) قد أوشك على نهايته ، لكن كان أمام المحقق الكثير قبل أن يستكمل تحقيق الحادث والجريمة ودوافعها وشهودها .

لكن عاد يسألها : لماذا وضعت جثة زوجك فى حقيبة ؟

ردت (منى) : حتى إذا صعد الأطفال إلى المنزل لا يشاهدونها ؟

المحقق : لماذا لم تضعى الجثة مثلاً تحت الفراش أو فى أى مكان آخر ووضعتها فى الحقيبة ؟

(منى) : كانت الحقيبة قريبة بالشرفة ، ثم إننى لم أكن فى وعيى .

المحقق : أنت متهمة بقتل زوجك مع سبق الإصرار ؟

(منى) : نعم .. لقد حدث ما ذكرته ، وأنا كنت خائفة من زوجى !

استدعت النيابة الشهود ، وكان أولهم والد منى ٦٥ عامًا ، وهو صاحب مصنع ، هادئ الطباع .. كان من الواضح أن جريمة ابنته قد زلزلته تمامًا ووقف غير مصدق .. لكن أقواله ألقت الضوء على دوافع الجريمة التى أصبحت مثار اهتمام الصحف والرأى العام .. لماذا قتلت (منى) زوجها ؟ وهل هى مجرد جريمة أخرى فى مسلسل جرائم قتل الزوجات لأزواجهن .

واصل المحقق سماع شهادة والد (منى) ..

وسأله : متى كانت آخر مرة شاهدت فيها زوج ابنتك المجنى عليه ؟

والد (منى) : آخر مرة شاهدته قبل خمسة أيام من الحادث .. كنت قد استأجرت عاملاً لرصف المنطقة المواجهة لمحلى ومحله ثم تغيبت فسدد زوج ابنتى تكاليف العامل وأخبرنى بذلك وقال إنه يكفى أننى سددت ثمن البلاط .

المحقق : وماذا كانت طبيعة العلاقة بين ابنتك وزوجها ؟

والد (منى) : لم أكن أتدخل فى شئونهما ، وإن كان واضحًا عدم وجود انسجام بينهما ..

المحقق : هل كان زوج ابنتك يعانى من أية أمراض نفسية ؟

والد (منى) : بالنسبة لى لم أشاهد عليه أعراض نفسية أو عصبية ، لكنى سمعت من البواب أنه ذهب به إلى المستشفى ، وأبلغتنى (منى) بأنها كتبت للمستشفى تعهدا على نفسها باستلامه لأنه مصاب بهستيريا .

★ ★ ★

عاد المحقق ليسأله : وكيف كانت علاقتك بزوج ابنتك ؟

والد (منى) : اللّه يرحمه كان زوج ابنتى وكنت أعتبره مثل ابن لى ، لأنه صاحب مواقف شهامة ورجولة معى ، وكنت أقدره ، وأكن له كل حب واحترام .

المحقق : وهل اعتاد الاعتداء على ابنتك بالسب أو الضرب وعدم الإنفاق على المنزل ؟

والد (منى) : نعم .. كنت أسمع من ابنتى أنه تعود على ضربها .. أما من ناحية الإنفاق فقد كانت ابنتى تأخذ منى نقودًا لتنفق على أولادها الذين أدخلتهم مدارس أجنبية ونوادى .

المحقق : وهل ناقشته فى سبب اعتدائه بالضرب على ابنتك ؟

والد (منى) : لا .. لم أتعود على التدخل فى مشاكلهما ..

★ ★ ★

كانت هذه هى شهادة والد (منى) .. واستدعى المحقق عمها الشاهد الأول ليستمع إلى أقواله خاصة أنه كان أول من علم منها بخبر الجريمة .

وسأله المحقق : ماهى معلوماتك عن الحادث .

قال العم : عندما اتصلت بى (منى) ابنة أخى فى المنزل فوجئت بها تبلغنى أنها تريدنى لأمر ضرورى جدًا .. وعندما سألتها ردت قائلة ، عندما تحضر ياعمى سوف أخبرك .. فقلت لها ، صلى ركعتين للّه .. فردت قائلة ، إن لم تحضر سأحرق نفسى وأشعل النار فى الشقة .. فأسرعت إليها .. وأخبرتنى بأن زوجها مات وسألتنى عن مفتاح مقبرة الأسرة فى بنها .. فسألتها عن كيفية وفاة زوجها .. فردت قائلة الجثة فوق فى الحقيبة .. فذهلت .. وعندما صعدت وشاهدت الحقيبة اقشعر بدنى !!

المحقق : كيف كانت حالة (منى) وقت أن اتصلت بك تليفونيًا ؟

العم : كانت متوترة الأعصاب .

المحقق : كيف رأيت مكان الحادث ؟

العم : الحقيبة كانت فى شرفة تؤدى إليها غرفة النوم التى كانت محتوياتها مبعثرة .

المحقق : ولماذا لم يصعد والدها للشقة ؟

العم : لا أعرف .. لكن قلبه ضعيف وليست لديه أعصاب .

المحقق : ولماذا طلبت منك (منى) مفتاح مقبرة الأسرة ؟

العم : لتدفن زوجها .

المحقق : هل كان زوجها يعانى من أى أمراض نفسية أو عصبية ؟

العم : لم أشاهد عليه أى أمراض .. وكان كلما قابلته يبدو طبيعيًا وبصحة جيدة .

المحقق : وماذا قالت لك (منى) عند وصولك ؟

العم : قالت لى أنا قتلت زوجى .. فقلت لها : ربنا معك !

★ ★ ★

واستمر تحقيق الحادث .. وكان الشهود التاليون الذين سيستمع إليهم المحقق ، هم أطفال (منى) المتهمة بقتل زوجها .

وهكذا وقف طفلها الكبير (عادل) البالغ من العمر ١٣ عامًا وأخته الأصغر ـ ١٠ سنوات ـ أمام وكيل النيابة ليدليا بأقوالهما حول الحادث الذى قتل فيه والدهما بأيدى أمهما !

★ ★ ★

سأل المحقق الطفل : ما هى معلوماتك ؟

ابن (منى) : قبل الحادث بيوم ذهبت إلى شقيقتى الصغرى التى كان لديها بروفة فى مسرحية تشارك فى التمثيل بها ، كنت مع بقية إخوتى وكانت أمى تقود السيارة ، وعندما عدنا إلى الشقة صعد أبى من المحل إلى الشقة ، وبدأ يسبنا ويسب أمى ، لأنها أخبرته أن السيارة حدث بها عطل ، وكان يقول لها : سوف تخربين بيتى ، أنا مسافر الإسماعيلية غدًا .. ثم أمسكها من شعرها وقذف بها إلى الحائط ، ثم بدأ يسبنا وطلب منا أن نذهب للنوم ، ودخلنا وتركناه مع أمى وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل .

ومضى ابن (منى) الصغير يروى شهادته قائلاً : استيقظنا صباح اليوم التالى ونزلت إلى المحل مع إخوتى ، وبعد فترة صعدنا إلى الشقة فوجدنا أبى فى السرير يصرخ ويشتم ، وأراد أن يضربنا عندما شاهدنا ، لكن أمى أبعدتنا عنه ، وطلبت منا أن نغادر الشقة وفعلنا ، نزلنا إلى المحل وظللنا به حتى الساعة السادسة مساء .. وكنا خائفين أن نصعد ، لكن أختى (إلهام) صعدت ثم عادت لتخبرنا أنها دقت الباب ولم يرد أحد ، ثم صعدنا بعد ذلك وأحضرت لنا أمى طعامًا وسألنا عن والدنا فأخبرتنا بأنه سافر للإسماعيلية .. وظللنا نشاهد التليفزيون لفترة ، ثم ذهبنا إلى النوم ، وعندما استيقظنا وجدنا البوليس فى الشقة .. وعرفت أن بابا قتل وأن جثته فى الحقيبة !

سأله المحقق : ما سبب المشادة التى حدثت بين والدك ووالدتك ؟

ابن (منى) : عندما أخبرته أن السيارة حدث بها عطل .

المحقق : وماهى الألفاظ التى كان يوجهها إلى والدتك ؟

ابن (منى) : كان يضربها ويشتمها بشتائم سيئة .

المحقق : هل كان والدك يعانى من أى أعراض نفسية ؟

ابن (منى) : أيام كان فى السعودية علمنا أنه كان يعالج فى مستشفى نفسية .. عندما عاد كان الأطباء يعالجونه ، وكان دائمًا عصبيًا متوترًا يتشاجر مع أمى ومعنا ويضربها باستمرار .

المحقق : هل كان والدك يتناول أى عقاقير ؟

ابن (منى) : نعم ، كان يتعاطى المهدئات والمنومات التى كان الأطباء يقررونها له .

المحقق : ماذا شاهدت يوم الحادث ؟

ابن (منى) : كان أبى يصرخ فى وجه أمى وهو يمسك فى يده سكينًا ويقول لها ، لن أتركك اليوم إلا إذا قتلتك .. وطلبت أمى منا أن ننزل إلى المحل .

المحقق : وهل تعدى عليها بالضرب ؟

ابن (منى) : لا .. كان يشتمها فقط .

المحقق : وما سبب حمل والدك السكين ؟

ابن (منى) : لا أعرف ، لكنه قال ، سوف أقتلكم .

المحقق : ولماذا طلبت والدتكم منكم النزول ؟

ابن (منى) : لأنها كانت خائفة علينا منه أن يضربنا .

المحقق : كيف كانت حالة والدتك عندما صعدتم للشقة فى المساء ؟

ابن (منى) : كانت تبدو طبيعية .

المحقق : وما تعليقك على وفاة والدك ؟

ابن (منى) : لا أعرف ، لكن الضابط أخبرنى أن أمى قتلت أبى !

★ ★ ★

هكذا انتهت شهادة الصبى ، ووقفت أخته الصغيرة - ١٠ سنوات - ترتجف والمحقق يحاول أن يهدئ من خوفها .. حتى هدأت .

وسألها : كيف كانت آخر مرة شاهدت فيها والدك ؟

الطفلة : كان يمسك حديدة فى يده وهو يشتم أمى بينما كانت ترتب الملابس .. وقالت له أمى : لا تضربنى أمام الأولاد .. ثم قالت لنا انزلوا إلى المحل .

المحقق : وماذا فعل والدك ؟

الطفلة : كان يشتم أمى ، وجرى إلى المطبخ وأحضر الحديدة وكان يبدو مثل الوحش وجرى ناحية ماما التى صرخت ، وطلبت منا النزول إلى المحل .

المحقق : وكيف كانت حالة والدتك عندما صعدتم إلى الشقة فى المساء ؟

الطفلة : كانت عادية ، لكن شكلها كان يبدو مرهقًا ، وعمومًا فهى متعبة دائمًا .

المحقق : وأين كان والدك فى ذلك الوقت ؟

الطفلة : لا أعرف .. لكن عندما سأل أخى عنه قالت أمى أنه سافر إلى الإسماعيلية .

المحقق : وهل كان والدك دائم الخلاف مع والدتك ؟

الطفلة : نعم .. كان دائمًا يسبها ويضربها ، كما كان يضربنا أيضًا .

المحقق : ومن كان يتردد على منزلكم ؟

الطفلة : لا أحد كان يفكر فى زيارتنا على الإطلاق ، لأن أبى منع أى إنسان من زيارتنا .

المحقق : لماذا لم تبلغى جدك أو أحد من أقاربك للصعود لفض المشاجرة بين والدتك ووالدك ؟

الطفلة : جدى لم يكن موجودًا ، ولا يوجد أحد من أقاربنا يسكن فى نفس العمارة .

المحقق : وما تعليقك على وفاة والدك ؟

الطفلة : سمعت أنه ضرب بالسكين ، وعرفت من الجرائد أن ماما هى التى ضربته ..

★ ★ ★

هكذا انتهت شهادة الطفلين البريئين اللذين فقدا والدهما ، وأصبحا مهددين بفقدانهما أمهما أيضًا ، والتى كان الجميع يتوقعون أن تصدر المحكمة حكمًا بإعدامها .

لكن ما حدث كان شيئًا آخر !

* * *

سأل المحقق شقيق (منى) : ما هى طبيعة علاقة شقيقتك بزوجها ؟

شقيق (منى) : لقد تزوجته شقيقتى منذ فترة طويلة .. لكنهما ظلا على خلاف مستمر .. ولقد طلقت منه عام ١٩٦٦ وكانت قد أنجبت منه ولدًا وبنتًا توفيا ثم عادت إليه وكان قد تزوج خلال طلاقها .. وأنجبت منه أربعة أولاد .. وطوال تلك الفترة كانت على خلاف مستمر معه .. وكانت دائمًا تحضر إلى منزلى وهى منهارة من شدة تعديه عليها بالضرب أو بالسب المهين .. وكان والدى سلبيًا فكانت إذا ذهبت تشكو إليه كان يضربها ويعيدها إلى بيت زوجها بدون أن يسمع شكواها أو يحقق الخلاف بينهما .. وكنت أحاول تهدئتها ثم أعيدها إلى منزل زوجها .

المحقق : وما سبب طلاق أختك من زوجها ؟

شقيق (منى) : كانت قد أنجبت منه طفلين توفيا فأصيبت بحالة هستيرية ونقلناها إلى المستشفى حيث عولجت بالصدمات الكهربائية وأهل زوجها زعموا أنها مجنونة .. وكان ذلك سبب الطلاق .

المحقق : ولماذا عادت إليه مرة أخرى ؟

شقيق (منى) : لقد قام بمحاولات كثيرة ليردها وفعلاً أعادها إليه أبى .

المحقق : وما طبيعة الخلافات التى كانت بينهما ؟

شقيق (منى) : ضربه المبرح للأولاد وكذلك ضربها بطريقة جنونية بسبب وبدون سبب .. وعدم الإنفاق على أولاده وكذلك الاعتداء عليها بالسب بألفاظ نابية .

المحقق : هل كان زوج أختك يعانى من أمراض نفسية أو عصبية ؟

شقيق (منى) : أنا أعرف أنه كان يتعاطى بعض الأدوية ، لكنى لا أعرف نوعها ، وفى مرة أصيب بحالة هستيرية ونقلته إلى المستشفى .

المحقق : وماذا كان تشخيص المستشفى لمرضه ؟

شقيق من : لا أعرف التشخيص بالضبط ، لأننى نقلته ودفعت رسوم المستشفى ، ثم علمت أن أختى أعادته إلى المنزل فى نفس اليوم ، فذهبت لزيارته وكانت حالته طيبة .

المحقق : هل لديك أقوال أخرى ؟

شقيق (منى) : لا .

* * *

وهكذا انتهى التحقيق وسماع أقوال الشهود .

لكن مفاجأة مذهلة حدثت : لقد أكد تشريح جثة الزوج وفحص محتويات أمعائه وجود آثار لعقار الكوتيان المهدئ !

فهل دست (منى) الكوتيان المهدئ لزوجها حتى تستطيع قتله !

أعادت النيابة استجواب (منى) حول هذه النقطة المهمة :

سألها المحقق : ما قولك فيما جاء بتقرير الطبيب الشرعى أن وفاة زوجك حدثت نتيجة الطعنات بالصدر والبطن بواسطة السكين الذى ضبط بمنزلك ؟

(منى) : نعم .. أنا التى طعنته بالسكين وقد سبق أن اعترفت بذلك .

المحقق : هل تناول زوجك أى مأكولات أو مشروبات صباح يوم الحادث ؟

(منى) : لا .. لم يأكل أو يشرب شيئًا .

المحقق : وهل تناول عقاقير طبيّة فى ذلك اليوم ؟

(منى) : لا .. لم يتناول شيئًا .

المحقق : وهل اعتاد تناول ثمة عقاقير مهدئة ؟

(منى) : كلا .

المحقق : إذن ما قولك فيما جاء بتقرير الطبيب الشرعى ، أنه عثر بأحشاء ودماء زوجك على عقار الكوتيان وهو من العقاقير المهدئة ؟

(منى) : لا أعرف .. ومن غير المعقول أن يكون قد تعاطى مهدئ لأنه كان ثائرًا فى نفس اليوم .

المحقق : وما تعليقك على ما جاء بتقرير الطبيب الشرعى ؟

(منى) : لا أعلم .. واحتمال تكون العينة خطأ .

المحقق : وما معنى ذلك ؟

(منى) : أنا لم أعطه أى حبوب وهو لم يتناول شيئًا أمامى .

المحقق : هل لديك أقوال أخرى ؟

(منى) : لا ...

★ ★ ★

هكذا انتهى التحقيق ليسجل المحقق فى النهاية ثلاث ملحوظات مهمة : أولها أن (منى) اعترفت بارتكابها للجريمة تفصيليًا كما جاء بملف التحقيق ، والثانية أن تقرير الطبيب الشرعى أثبت أن وفاة الزوج حدثت نتيجة إصابات طعنية بمقدم العنق وأعلى الصدر وأعلى الظهر وما نتج عنها من نافذية للقصبة الهوائية والتجويف الصدرى وقطع أنسجة الغشاء البللورى والرئتين وما نتج عن ذلك من نزيف دموى غزير بالتجويف الصدرى وما صاحب ذلك من هبوط حاد بالدورة الدموية .

لكن الملحوظة الثالثة المهمة التى أثبتتها النيابة، كانت أن تقرير المعمل الكيماوى أثبت العثور فى أحشاء الزوج القتيل ودمائه على عقار الكوتيان وقدرت نسبته بالدم بحوالى ٠,٥ ملليجرام، وأن عقار الكوتيان من العقاقير المهدئة.

★ ★ ★

كانت النيابة قد حبست (منى) على ذمة التحقيق .. وهكذا فى النهاية أصدرت النيابة قرارها بإحالة (منى) إلى محكمة الجنايات.

وقالت النيابة: إنه بعد الاطلاع على الأوراق والتحقيقات التى تمت تتهم (منى) بأنها قتلت زوجها عمدًا مع سبق الإصرار، بأن عقدت العزم على قتله أعدت لذلك آلة حادة - سكينة - ودست له أقراص الكوتيان المهدئة .. وانهالت عليه طعنًا بالسكين فى أماكن متفرقة حول رقبته وصدره قاصدة من ذلك قتله، فأحدثت به الإصابات التى جاءت بتقرير الصفة التشريعية والتى أودت بحياته.

وفى النهاية قالت النيابة: تحال القضية إلى محكمة الجنايات مع استمرار حبس (منى)، وندب المحامى للدفاع عنها.

★ ★ ★

هكذا كان رأى النيابة، أن (منى) دست مهدئ الكوتيان لزوجها .. ثم قتلته!

لكن محامى (منى) كان له رأى آخر .. فقد استخدم ما نسبته النيابة إلى (منى) .. وما قالت أنها تستحق عليه عقوبة القتل، فى الحصول على البراءة لها!

★ ★ ★

وجاء دور الدفاع ليدلى بمرافعته وتقدم من منصة المحكمة محاميها (كمال الشاذلى) .. وهو رجل ضئيل الحجم .. تشع عيناه بالحيوية والذكاء رغم ملامح وجهه المألوفة والتى تشعر أى إنسان .. بأنه يعرفه .. صديق أو قريب.

وبدأ المحامى يدافع عن (منى) المتهمة بقتل زوجها .. والمحكمة تستمع.

★ ★ ★

سيدى رئيس المحكمة .. حضرات المستشارين ..

هكذا بصوت واثق واضح النبرات .. بدأ (كمال الشاذلى) محامى (منى) مرافعته.

قال: القضية المعروضة أمام حضراتكم اليوم هى مأساة حقيقية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .. هى مأساة أسرة بأكملها بطلها فى كل مراحلها المجنى عليه وليس المتهمة .. المريض الذى ألم به ذلك المرض النفسى .. فأحال الحياة بين أفراد أسرته إلى ثورة عارمة لا يعرف الهدوء والسكينة إليها سبيلاً .. زوج هائج النفس متوتر

الأعصاب .. دائم الاعتداء على زوجته وأولاده .. دائم السب والشتم والإيذاء .. ولعل سبب ذلك مرض نفسى ألم به .. كان يعالج منه أيام كان يعمل فى السعودية .. كما ذكر ابنه فى التحقيق .. ثم نقل على أثره للمستشفى فاعتاد تناول العقاقير المهدئة .. وليتها بلغت منه أثرًا لقد ازداد التوتر توترًا .. فلما بلغ الهياج الذروة .. وأمسك الزوج بسكين .. أيقنت الزوجة المغلوبة على أمرها دائمًا أنه لا عاصم لها منه وأنه لا بد قاتلها هذه المرة ..

★ ★ ★

ومضى المحامى قائلاً : كانت هذه المأساة .. لقد هاجمها شاهرًا سكينًا فاندلعت مخاوفها وأصابها هلع شديد .. وكانت أمامها العوارض الخشبية للسرير .. وفى سرعة التقطت إحداها ودفعته به بكلتا يديها فسقط على الأرض ، هذا هو الرجل .. كبر وكبرياء ومكابرة .. إنه يثور ويعتدى لأتفه الأسباب .. فما بالها اليوم وقد دفعته فسقط .. فجرحت كرامته .. ونالت من كبريائه ومكابرته .. إن هذا الزوج المتغطرس الذى اعتاد التعدى والإيذاء دون راد لعدوانه واعتاد من زوجته الخضوع والخنوع والاستسلام .. ها هى تدفعه فيسقط وهو فى قمة الهياج العصبى .. إنه لو استطاع النهوض من كبوته .. لكان انتقامه مروعًا ، إنه لا بد قاتلها .. فكل المقومات والخلفيات المترسبة فى أعماق الزوجة ترشح بل وتؤكد هذا التصور .. وتعمق هذا الاحساس فى نفسها .. فيشيع الخوف والهلع فى جنباتها .. فلا تملك من نفسها إلا الاندفاع نحوه دفعًا للخطر المحدق بها .

★ ★ ★

ويكمل المحامى (كمال الشاذلى) تصويره البليغ للحادث فيقول : وتتلاحق الأحداث .. تدفعه باللوح الخشبى الذى تمسكه بكلتا يديها ، فيسقط على الأرض .. وتضغط به على صدره .. ثم تلتقط السكين التى سقطت من يده وتغمدها فى صدره .. فأين هذا يا حضرات المستشارين من سبق الإصرار الذى قرنت به النيابة العامة وصف الاتهام .. إن كل كلمة رددناها أمام حضراتكم فى هذه الساحة المقدسة لها دليلها الثابت فى الأوراق .. فالثابت من اعتراف المتهمة أنها لما عادت فى ساعة متأخرة مع أولادها فى ليلة الحادث .. أخبرت زوجها بما أصاب السيارة من عطل .. فثارت ثائرته وأخذ فى الاعتداء عليها بالضرب وبأقذع ألوان السباب وإنه توقف عن ذلك عندما استمهلته إلى الصباح ، حيث يمكن استدعاء الميكانيكى لإصلاحها .. وقد كان يزمع السفر إلى الإسماعيلية .

ونام الجميع .. المتهمة محتضنة وليدها ذو السنتين فى حجرة أخرى غير تلك التى نام فيها زوجها .. ونام الزوج بغرفة نومه .. ونام الأولاد .. ولو أن فكرة القتل كانت قد تسربت إليها فى ذلك الوقت .. فعقدت العزم عليها لكن الليل والنوم هما فرصتاها ، فما كان أسهل عليها من إغماد السكين فى قلبه وهو نائم .. بعد أن تعاطى المهدئ الذى اعتاد تعاطيه كل ليلة .. ذلك المهدئ الذى قالت النيابة عنه أنها دسته له مع استحالة ذلك عليها ، كما سأبين لحضراتكم .. هذا هو الزوج يغط فى نومه .. وهذا هو الليل بسكونه ستارًا .. وما أعظمها فرصة لمن أراد القتل .. لكن شيئًا من ذلك لم يحدث .. مضى الليل وانبلج الصباح

واستيقظ الجميع ونزل الأولاد إلى المحل .. وبدأ الزوج يعاود عدوانه مطلقًا للسانه العنان بأقذع ألوان السباب .. خاصة بعد أن أيقن بعدم جدوى إصلاح السيارة لعدم وجود الميكانيكى .. لقد تصاعدت الثورة متأججة فى صدره وتناول سكينًا من المطبخ ، السكين التى تصادف وجودها أمامه وتصادف أنها مكسورة النصل .. وهى نفسها التى أغمدت فى جسده .. وهذا الدليل المادى شاهد وقاطع على أن المتهمة لم تعدها من قبل .. فلو أنها فعلت لأعدت سكينًا ماهيته مشحوذة النصل مسلوبة الطرف وليست تلك المكسورة .. أما وأن القتل قد حدث بتلك السكين المكسورة النصل فإن فيه الدليل على أنها لم تعده لهذا الغرض .. وفيه الدليل أيضًا على صدق المتهمة من أن الزوج هو الذى أحضر السكين من المطبخ .. فأين هو الهدوء والتروى من كل هذا ؟ أين التفكير المطمئن يا حضرات المستشارين ؟

* * *

ثم تطرق المحامى للحديث عن السكين ليؤكد أن (منى) : لم تعد للجريمة .

فقال : السكين مما تستعمل فى المطبخ ، وهى موجودة دائمًا مما لا يتسنى معه القول بإعدادها أصلاً للقتل .. وقد كانت فى يد الزوج المجنى عليه وقد شهدت الأطفال بذلك وكانت مكسورة النصل .. وهو ما يؤكد أقوال (منى) وطفلها من أن زوجها المجنى عليه هو الذى أحضرها من المطبخ ، وكان ممسكًا بها مهددًا متوعدًا ..

وتوقف المحامى برهة ..

ثم عاد ليقول ، فهل يساغ القول بعد كل هذا أن (منى) بيتت النية بعد كل هذا لقتل زوجها .. إن القول بتوافر سبق الإصرار لديها – مع كل ذلك – فيه افتئات على الوقائع وتجاوز للحقائق .. وفى سلسلة الافتراضات التى أقامت النيابة عليها وصفها للاتهام ضمنت ذلك الوصف أمرين بعيدين عن الصواب أولهما هو أن (منى) أعدت سكينًا للقتل .. والثانى هو أنها دست لزوجها مهدئًا .. وقد تحدثنا عن السكين .. أما المهدئ فهو قصة أخرى .

* * *

واصل المحامى (كمال الشاذلى) مرافعته قائلاً ، لو أن (منى) دست المهدئ لزوجها لكان ذلك قبل نومه ليلاً ، ذلك بطريق اللزوم العقلى أن يحدث القتل بعد أن يحدث المهدئ أثره فيغط فى النوم وليس بعد ذلك فرصة .. إن صح ما ذهبت إليه النيابة .. لكن الطفلين شهدا بأنهما استيقظا فى الصباح ونزلا إلى المحل ثم صعدا إلى المنزل فى الحادية عشرة صباحًا .. وكان الزوجان قد استيقظا وعاود الزوج هياجه .. وشاهداه يمسك سكينًا فى يده يهدد ويتوعدهم بها .. وأيا ما كان الأمر فإن هناك حقيقة ثابتة .. هى أنه فى الحادية عشرة صباحًا .. كان الزوج على قيد الحياة .. وكان فى حالة من الهياج مطلقًا العنان لشتائمه وألفاظه البذيئة .. وخشية من (منى) على أبنائها طلبت منهما العودة إلى المحل فنزلا .. وتصاعد الهياج .

* * *

وارتفع صوت المحامى ليؤكد : إن عقار الكوتيان هو عقار مهدئ وليس مخدرًا .. أقراص شديدة المرارة عديمة الذوبان فى السائل وأى سائل .. ونتشرف بتقديم تقرير علمى بذلك .. فكيف للمتهمة أن تدسه لزوجها فى شراب هو شاربه .. دون أن يتذوق تلك المرارة التى هى من أهم صفاته وخصائصه ؟ إن الاستدلال على سبق الإصرار بدس هذا المهدئ للزوج مع ماله من خصائص إنما هو استدلال فاسد لاستحالة ذلك .. فلا المهدئ يمكن إذابته فى وسائل ولا هو يمكن إخفاء مرارته عن شاربه .. فضلاً عن أنه لو كان فى إمكان الزوجة أن تدس لزوجها شيئًا فيما لو كانت تزمع القتل ، لكان السم الزعاف هو الوسيلة المثلى للخلاص منه .. ومن السموم ما هو سريع الذوبان عديم الطعم مما يسهل معه دسه للضحية .. ولقد أثبت تقارير المعمل الكيماوى أن عقار الكوتيان الذى وجدت آثاره فى دماء الزوج المجنى عليه ، إنما هو عقار مهدئ .. وثبت أيضًا بالدليل القاطع أن المجنى عليه قد اعتاد تعاطى المهدئات .. وبينما يقول تقرير المعمل الكيماوى أن نسبة تركيز عقار الكوتيان فى دم الزوج بلغت ٠,٥ ٪ ملليجرام .. فالثابت من التقرير العلمى الذى تشرفنا بتقديمه للمحكمة هذه نسبة مرتفعة .. تنتج عن تعاطى كمية من العقار تعادل ٦٢ قرصًا ، بما يستحيل معه إذابة هذا القدر فى كوب من السائل ، باعتبار أن نسبة ذوبان هذا العقار فى السائل هى واحد إلى مائتين وأربعين ! ولا تفسير إلا تفسير واحد لوجود هذه النسبة العالية بدم الزوج المجنى عليه .. هو أنه قد اعتاد تعاطى هذا تدريجيًا فى دمه .. حتى وصلت إلى هذه النسبة الواردة بتقرير المعمل .

* * *

وأضاف المحامى فى مرافعته : إن ظرف سبق الإصرار يا حضرات المستشارين يستلزم أن يكون لدى الجانى من الفرصة ما يسمح له بالتروى والتفكير المطمئن فيما هو مقدم عليه .. فمن أوذى واهتيج ظلمًا وعدوانًا وطغيانًا وأزعج من توقع تجديد إيقاع الأذى به ، فاتجهت نفسه المعذبة إلى قتل معذبه .. فهو فيما اتجه إليه من هذا الغرض الإجرامى الذى يتخيله قاطعًا لشقائه .. يكون ثائرًا مندفعًا ، لا سبيل له إلى التصبر والتروى والأناة .. فلا يعتبر ظرف سبق الإصرار متوافرًا لديه .. ومن المقرر أيضًا أن الجانى الذى يقارف القتل مدفوعًا بعامل الغضب والانفعال ، يعد مرتكبًا لجناية القتل العمد من غير سبق إصرار .. فليست هناك نية مبيتة على القتل .. وكان الحادث وليد وقته ، بل إنه حدث دفاعًا عن النفس من خطر محدق لم تستطع له المتهمة دفعًا إلا بما فعلت !

* * *

وقالها المحامى بوضوح : يا حضرات المستشارين .. إن المتهمة كانت فى حالة دفاع شرعى عن نفسها .. ذلك الدفاع الشرعى الذى أباحه القانون .. إذ إن الأصل أنه لا يشترط لقيام حالة الدفاع الشرعى أن يكون قد حصل بالفعل اعتداء على النفس أو المال .. بل يكفى أن يكون قد صدر من المجنى عليه فعل يخشى منه المتهم وقوع جريمة من الجرائم التى يجوز فيها الدفاع الشرعى .. ولا يلزم فى الفعل المتخوف منه أن يكون خطرًا حقيقًا فى ذاته .. بل يكفى أن يبدو كذلك فى اعتقاد المتهم وتصوره ، بشرط أن يكون لهذا التخوف أسباب معقولة .

* * *

واستدرج قائلاً : وقد يقال إنه وإن كان حق المتهمة فى الدفاع الشرعى قد ثبت .. إلا أنها تجاوزت ذلك الحق وواصلت الطعن حتى لفظ أنفاسه .. وذلك قول مردود بما تقرر من أن تعدد الإصابات وشدتها وانتشارها بجثة الزوج المجنى عليه لايفيد بذاته .. إنها لم تكن لرد اعتداء متخوف منه .. وتقدير ظروف الدفاع الشرعى ومقتضياته أمر اعتبارى ، المناط فيه الحالة النفسية التى تخالط الشخص الذى يفاجأ بفعل الاعتداء .. فيجعله فى ظروف حرجة دقيقة تتطلب منه معالجة موقفه على الفور .. والخروج من مأزقه مما لا يصلح معه محاسبته على مقتضى التفكير الهادئ المتزن الذى كان يتعذر عليه وقتئذ وهو محفوف بالمخاطر والملابسات .. لقد قالتها المتهمة صريحة فى اعترافاتها .. إنها فقدت الوعى وهى تطعن زوجها بالسكين وفى خوف من أن تتركه فيقوم ويقتلها .. ذلك الذى اعتاد ضربها لأسباب تافهة فلم تتركه إلا بعد أن سكنت حركته .. إنها حالة دفاع شرعى توازت شروطها وظلت قائمة ما بقى الخوف فى نفسها من أن ينهض ويقتلها .. فهذا الخوف المستمر المتصل فى روعها .. هو ما يوفر لها حالة الدفاع الشرعى وقد ظل معتمرًا فى جوارحها بما ترسب فى نفسها من اعتداءاته المتكررة السابقة .. وما خلفه ذلك الخوف من انزعاج وهلع .. بما هو محدق بها .. لو أنها تركته بعد أن سقط على الأرض ، وسقط السكين من يده .. وحتى بعد أن طعنته الطعنة الأولى .. لقد ظلت تطعنه والخوف يملأ كل مشاعرها .. وسيطر على جوارحها .. فلم يزاولها إلا بعد أن تأكدت أنه لن يقوم ليعتدى عليها .. إنها حالة دفاع شرعى متكاملة وليس فيها تجاوز !

* * *

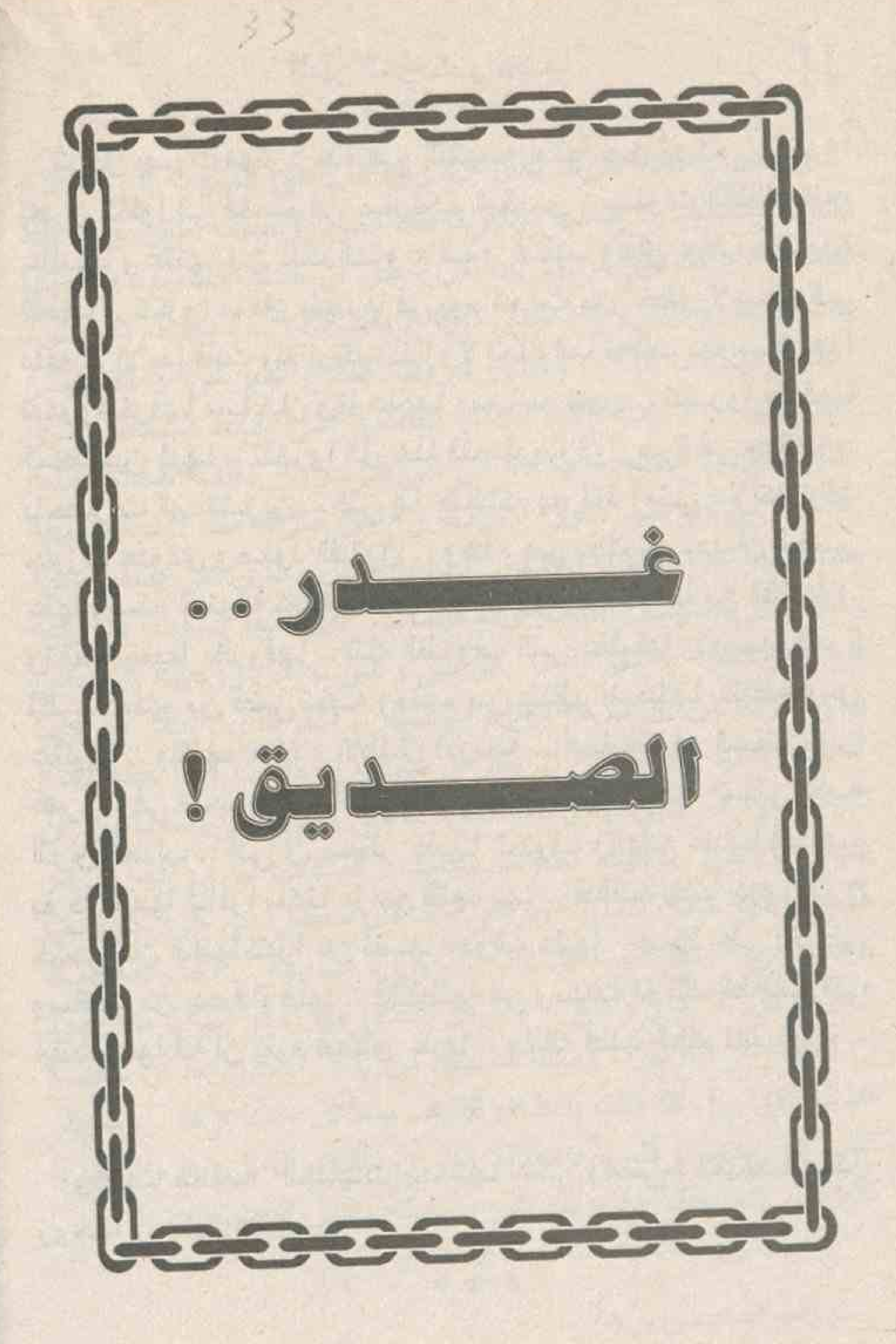
توقف المحامى برهة ..

ثم قال بصوت مؤثر : هذه هى المتهمة أمانة بين أيديكم .. تذكروا بعد أن تخلوا إلى أنفسكم فى محرابكم المقدس .. سنوات الشقاء التى عاشتها وعانتها من ذلك الزوج الذى أذاقها وأذاق أولاده صنوف العذاب .. تذكروا ما كان يتهددها فى يوم الحادث من خطر لا سبيل إلى دفعه .. إلا بما فعلت ولم ترتكب ذنبًا ولا إثمًا وإنما تعطلت بها سيارتها ! تذكروا خوفها مما كان وانزعاجها مما سيكون .. تذكروا أطفالها المحتاجين إليها .. تذكروا كل هذا فأنصفوها لأول مرة فى حياتها .. يا حضرات المستشارين .. إننى إذا طالبتكم ببراءة (منى) لا أكون قد جاوزت حدودى وحدود القانون .. وهذه هى بغيتى .. بعد أن انحسر عنها وصف المتهمة كما أوردته النيابة .. وبعد أن تفاعلنا مع القضية .. وانفعلنا جميعًا بظروفها .. تلك الظروف التى عاشتها وتعيشها أسرة ثكلى .. منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ضحيتها بالقطع ليس عائليها .. ولكنهم هؤلاء الأطفال الأربعة .. أصغرهم ذو السنتين من عمره .. فى مسيس الحاجة إلى أمه .. التى سامها زوجها المجنى عليه ألوان العذاب .. إلى أن سيطر عليها الخوف والهلع عندما فاجأها بغرفة نومها شاهرًا سكينًا يزمع قتلها بها .. فدفعته بكلتا يديها بلوح خشبى كان أمامها لتدرأ عن نفسها عدوانه عليها .. فسقط على الأرض وسقطت من يده أداة قتلها .. فالتقطتها هى وسددت له تلك الطعنات التى أيقنت معها أنه لن يقوم فيعتدى عليها .. ولذلك أطلب الحكم لها بالبراءة .

* * *

وقضت محكمة الجنايات بحكمها على (منى) المتهمة بقتل زوجها .. بالبراءة ......

* * *



بين الكويت والقاهرة ، دارت أحداث القضية ..

البطل .. مدرس في الخمسين من عمره .. سافر منذ سنوات قليلة إلى الكويت بعقد عمل شخصى ، تاركًا زوجته وابنتيه الوحيدتين فى القاهرة .. وبعد شهور التقى مصادفة فى أحد الأسواق بأحد أصدقائه القدامى .. وبعد تبادل التحيات والسلامات .. علم من صديقه أن عمله بالكويت قد انتهى وأنه عائد إلى الوطن أخيرًا .. فطلب منه أن يحمل مبلغًا من المال ليسلمه لزوجته فى مصر .. فوافق الصديق فى الحال .

★ ★ ★

سافر الصديق إلى مصر ..

وبعد أيام تلقى المدرس مكالمة تليفونية من زوجته تخبره فيها بأن صديقه حضر للبيت وسلمها المبلغ .. وأخذت تطنب في مدح الصديق وشهامته ومروءته .

ومرت شهور لم يعد الزوج يتلقى فيها رسائل أو مكالمات تليفونية من زوجته .. وعبثًا حاول أن يعرف السبب من خلال اتصالاته بأقاربه .. وأخيرًا همس له أحد أقاربه على خجل :

من الأفضل أن تأتى فى إجازة سريعة دون أن تبلغ زوجتك !

لماذا ؟

الحقيقة أن صديقك (فلان) أصبح دائم التردد على بيتك .. وقد حاولنا لفت نظر زوجتك إلى عدم لياقة استقبالها رجلاً فى غياب زوجها .. لكنها لم تهتم !

ولا يتردد الرجل ، ويسرع بطلب الإجازة ...

ومن المطار إلى البيت والهواجس والظنون تعصف بصدره .. ويدق الباب فتفتح له زوجته التى تتسمر فى مكانها وكأن صاعقة غير متوقعة سقطت على رأسها .

ويزيحها جانبًا ويدخل ليتلقى المفاجأة .. إن صديقه يجلس فى الردهة ويتناول طعام الإفطار وهو يقرأ جرائد الصباح !

وتحاول الزوجة تبرير الموقف ..

فتقول فى ارتباك : لقد حضر ليساعدنا على تقديم أوراق طفلتنا الصغيرة فى المدرسة ..

يهزّ الزوج رأسه بأسى .. وهو يتفحصها بنظرات نارية .

ويرد عليها ساخرًا : وهل جاء هكذا .. بالبيجامة !

* * *

ولايعود الرجل إلى الكويت قبل أن يطلق زوجته .. ويظن أنه بقرار الطلاق قد أنهى صفحة سوداء فى حياته .. ويخطط فى هدوء لمعركة إحضار طفلتيه للعيش معه فى الكويت بعيدًا عن أمهما ، خاصة وأن الابنة الكبيرة قد وصلت إلى السابعة عشرة من عمرها .. وهى تمر بمرحلة المراهقة الحرجة .

لكن ما إن تمضى شهور حتى يفاجأ ببرقية عاجلة من طفلته الصغيرة التى لم تتعد العاشرة من عمرها ، تقول له فيها : احضر حالاً يا والدى .. إن أمى وأختى تتقاتلان من أجل صديقك !

ومرة أخرى يسرع الرجل بالسفر ..

ويكتشف أن الصديق الخائن قد أقنع ابنته المراهقة بأن توافق على أن يخطبها .. وعندما تعلم الأم بذلك تثور ثورة عارمة وتطرد ابنتها من البيت ، فتلجأ الابنة إلى الشرطة لتحرر محضرًا ضد أمها !

* * *

ولا يجد المسكين أمامه سوى أن يهرع إلى المحكمة طالبًا الحكم بإسقاط حضانة الابنتين عن الأم لخطورة بقائهما مع أم على هذه الشاكلة !

وفى المحكمة تصر الأم على أن القانون يعطيها الحق فى رؤية ابنتيها ، وأن الحكم بحضانتهما لوالدهما الذى يعيش فى الكويت يعنى حرمانها من حقها الذى يكفله لها القانون .

وتقول العدالة كلمتها : ويقضى (أشرف مصطفى كمال) رئيس محكمة القاهرة للأحوال الشخصية بإسقاط حضانة الأم للابنتين ، وضم حضانتهما للأب الذى يأخذ الابنتين ويركب معهما أول طائرة مسافرة للكويت .

لماذا ؟

تقول المحكمة : هذه الأم .. لا تستحق !

* * *

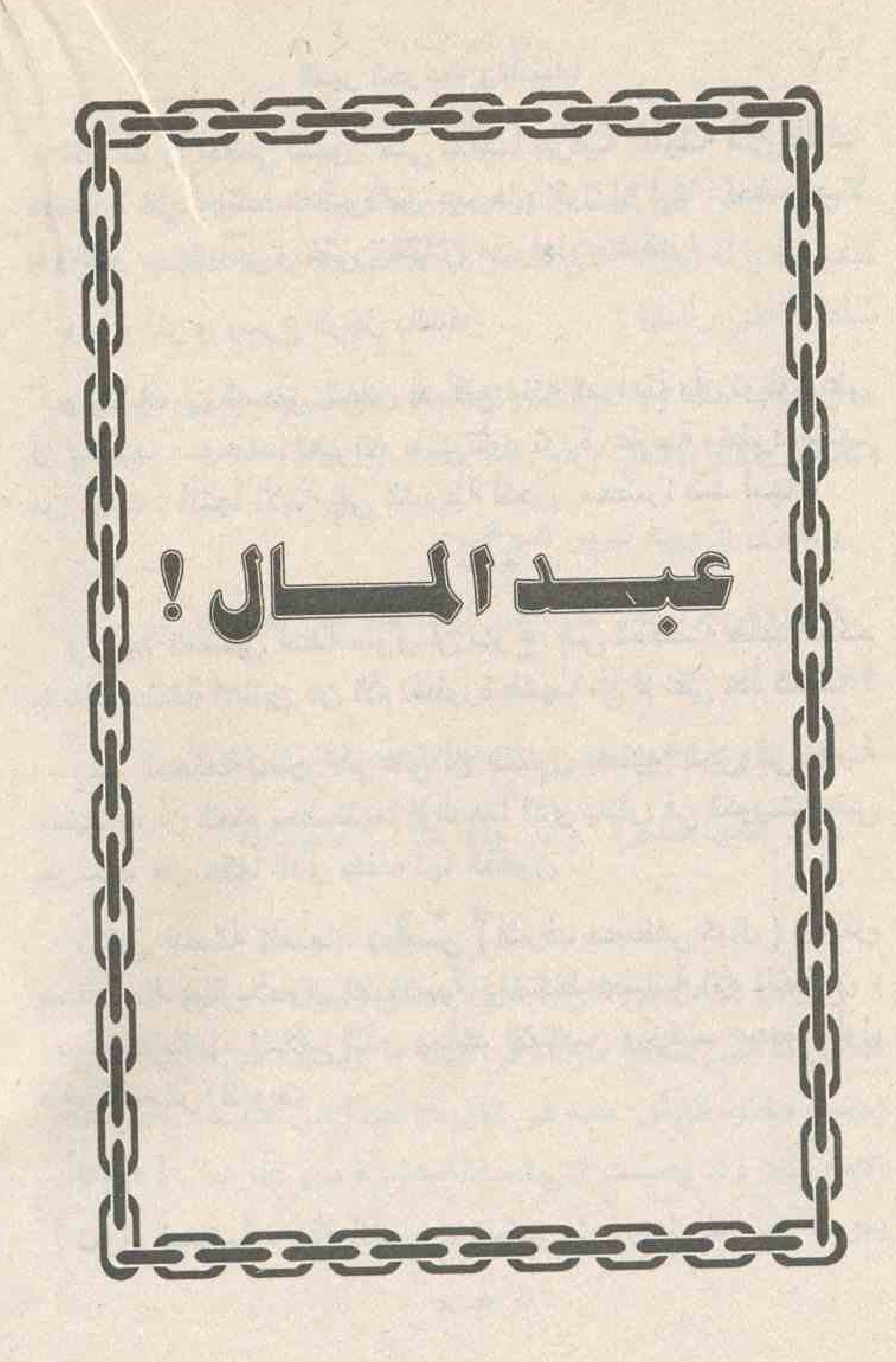
وقفت الزوجة الشابة أمام قاضى محكمة الأحوال الشخصية والدموع تنهمر من عينيها .. قالت :

أرجوك أن تفصل فى قضيتى هذه الجلسة ولا تؤجلها لجلسات قادمة .. فلم أعد أحتمل بعد أن تحولت حياتى إلى جحيم لا يطاق .

راحت الزوجة تواصل حديثها والدموع تنهمر كالشلالات من عينيها : تزوجته بعد قصة حب استمرت سنوات ، كنا نحسب الأيام خلالها بالساعات حتى تخرجنا من الجامعة وعمل موظفًا بإحدى الدواوين الحكومية وعملت مدرسة بأحد المعاهد الثانوية وأنجبنا طفلين جميلين هما كل ثروتنا فى هذه الدنيا .

سارت حياتنا هادئة لم أسمع منه ما يعكر صفوها أبدًا .. ومع احتفالنا بعيد زواجنا العاشر ، كانت الأقدار تزف لنا بشرى جميلة ، فقد وفق زوجى فى العثور على عقد عمل بإحدى الدول العربية .. كنت سعيدة بهذه الفرصة التى أنتظرها طويلاً .. كنت سعيدة بهذه الفرصة .. جهز زوجى أوراق سفره .. وفى المطار لا أعرف من أين جاءت هذه الدموع التى انهمرت من عينى وأنا أودعه .. أوصانى بالأولاد خيرًا وأوصيته بنفسه كذلك .. وطلبت منه ألا يجهدها كثيرًا فى العمل فكنوز الدنيا كلها لا تساوى صحته وسلامته .

مرت الأيام الأولى من سفره كئيبة .. لا أعرف كيف مرت ولا أذكر كيف قضيتها .. أحسست أننى وحيدة فى هذه الدنيا ، رغم صخب الأهل والأصدقاء من حولى .. كنت مشدودة إليه فهو الماضى والحاضر



والمستقبل .. كل شىء فى حياتى بنيته معه .. كانت الرسائل هى الوسيلة للاتصال به .. كانت أشواقى تزداد إليه .. إلى أن مضى العام الأول لسفره وأخبرنى زوجى أنه لن ينزل فى إجازته السنوية لأنه يريد أن يدخر ثمن التذكرة ومضى العام الثانى وتبعه عام ثالث ورابع .. كنت مقدرة كل الظروف التى يمر بها فى الغربة .. وقبل أن ينتهى العام الرابع أخبرنى أنه سينزل إجازة طويلة ، يرى فيها طفلينا ، فقد كان أكبرهم فى السنة الثالثة من الشهادة المتوسطة .

كانت سعادتى لاتوصف .. صرت أجهز كل شىء فى شقتنا الجميلة لاستقباله ، قطع الأثاث القديمة التى اشتريناها للزواج أحضرت من ينظفها ليعيد لها بريقها الأول ، المكتبة التى كان يحتفظ فيها بكتاباته والمؤلفات التى يحبها كلها أعدت ترتيبها من جديد .

وذات صباح سعيد من الأيام الجميلة فى حياتى فوجئت بطرق عِلى باب الشقة .. كان شروق الشمس لم يكتمل بعد .. فتحت الباب بلهفة وجدت نفسى وجهًا لوجه أمام زوجى ، لأول مرة منذ ٤ سنوات أراه ماثلاً أمامى ، حرارة اللقاء أطفأت لهيب الشوق الذى اكتويت به ٤ سنوات من (غربة) بعضنا عن الآخر .. وزاد سعادتنا أنه فى نفس اليوم ظهرت نتيجة ابنينا : الأكبر وكان ترتيبه الأول على المدرسة .. وأيضًا ابننا الثانى .. احتفلنا بالمناسبتين فى المكان الذى شهد أول لقاء لنا قبل الزواج .. استرجعنا ذكريات مضى عليها ١٤ عامًا .. لكن لا أعرف رغم السعادة التى احتوت الجميع إلا أننى

كنت قلقة على غير عادتى .. أحسست أن سنوات الغربة غيرت من زوجى .. لكن لم أعط هذا الإحساس الفرصة كى يخرج إلى الوجود .. أغلقت عليه صدرى وحاولت أن أطرده من تفكيرى .. لكن الأيام التالية كانت تؤكد صدق هذا الاحساس .. بعد أسبوعين تأكدت تمامًا أن زوجى لم يعد هو الشخص الذى كنت أعرفه .. فقد تغيرت تصرفاته تمامًا .. فلم يعد هو الشاب الهادئ الطباع بل فوجئت به يثور لأقل الأسباب التى لا ترضيه .. وأصبح صوته يجلجل لأول مرة فى شقتنا التى شهدت مولد أحلامنا البسيطة .. ولأول مرة تمتد يده وترتفع على وجهى .. ليس هذا فحسب بل إنه أخذ يعامل أبناءنا بنفس الطريقة التى بدأ يعاملنى بها .

جففت الزوجة الشابة دموعها وقالت : ليت الأمر اقتصر على هذا الحد سيدى القاضى .. فقد اكتشفت ما لم أتصوره أبدًا .. لقد عرفت أن زوجى يعاقر الخمر وأصبح يقضى الليل مع أصدقائه حتى الساعات الأولى من الفجر ، وعندما أفتح له الباب مع آذان الفجر بعد سهر الليل كله فى انتظاره ، يكون جزائى السب والإهانة ويتهمنى أننى أنتظره كى أحرجه وأهينه أمام نفسه .. وبمجرد فتح الباب ينفتح سيل الشتائم من لسانه الذى كان يقطر بكلمات الغزل والحب قديمًا .. نعم قديمًا ، عندما كنا فقراء !

سيدى القاضى : مأساتى أصبحت على كل لسان فى الشارع الذى أسكن فيه .. إذا ذهبت إلى (السوبر ماركت) فوجئت بالبائعة تتنحى بى جانبًا وتسألنى عن أخبار زوجى .. وإذا ذهبت لتصفيف شعرى أجد نساء الحى يتندرن على قصتى مع زوجى .. حتى يئست من الخروج

للشارع وجعلت من شقتى سجنًا لا أبرحه إلا للضرورة القاسية كالمرض الذى يستلزم الذهاب للطبيب .. أما زوجى ـ سامحه الله ـ فكأن شيئًا لم يكن بالنسبة له .. يعود فى الفجر يلتهم الطعام الموجود بالمطبخ ويستيقظ بعد صلاة العصر ويخرج بعدها لا يعود إلا فى الصباح التالى !

* * *

وفى نهاية أقوال الزوجة طلبت من المحكمة أن تقضى بتطليقها وقالت إن الحياة مع زوجها أصحبت مستحيلة بهذه الصورة ولا أمل فى صلاح حاله على المدى القريب على الأقل فقد أصبح (عبدًا للمال) !

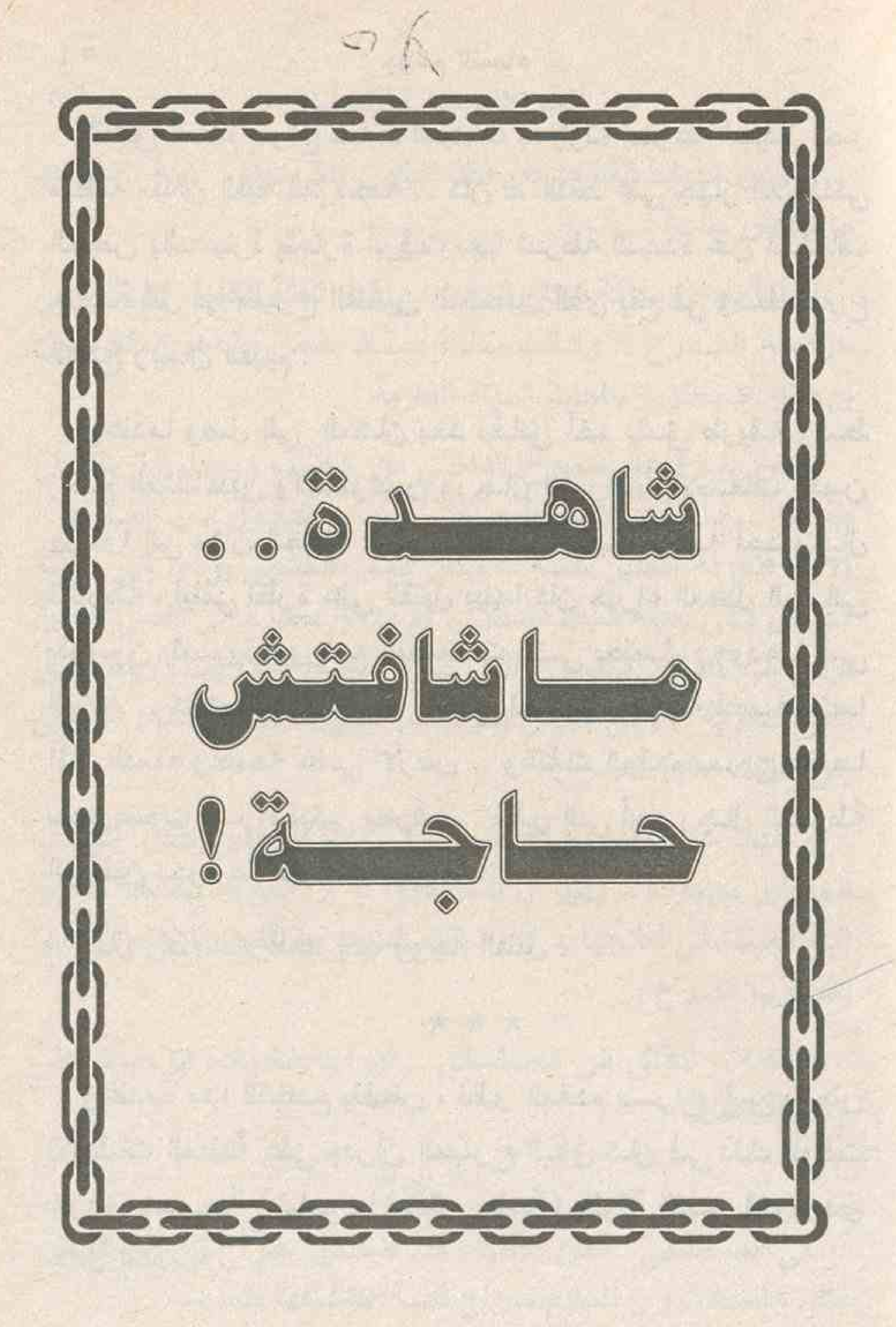
على الجانب الآخر وقف الزوج أمام المحكمة يدافع عن نفسه قائلاً :

لقد تعبت كثيرًا فى سنوات الغربة فى سبيل توفير المال اللازم لتأمين مستقبل زوجتى وأولادى وتوفير حياة كريمة لهم .. وعندما عدت من الغربة كنت أظن أن زوجتى ستقدر الظروف التى مررنا بها وتكون واعية بالمستوى المادى الذى وصلنا إليه وتصبح تصرفاتها فى نطاقه .. لكن للأسف فوجئت بها كما هى لم تتغير تحاسبنى على كل مليم أنفقه كما كانت تفعل فى سنوات العسر ، التى واجهتنا فى بداية حياتنا بل الأغرب من ذلك أنها لا تريد منى أن أسهر مع أصدقائى الجدد الذين تعرفت عليهم بالبلد الذى كنت أعمل به .. وأنا أؤكد لها أن حياتى معها بهذا الشكل ستكون ـ أيضًا ـ من رابع المستحيلات !

* * *

بعد المداولة قضت المحكمة بتطليق الزوجة طلقة بائنة للضرر الذى يقع من الزوج .

* * *



انطلق المقدم سراج ضابط المباحث بسيارته بسرعة شديدة نحو منطقة ميدان القبة المزدحمة .. كان قد التقط على جهاز اللاسلكى الخاص بالسيارة إشارة أبرقت بها شرطة النجدة عن اكتشاف جريمة قتل فى مسرح الفنانين المتحدين الذى يقع فى وسط شارع الشيخ ريحان القديم .

وعندما وصل إلى المكان بعد دقائق أخذ يشق طريقه وسط زحام المشاهدين والفضوليين ورجال الشرطة والإسعاف الذين هرعوا إلى مكان الحادث .. ثم دلف من باب يحرسه أحد رجال الشرطة ، ليلقى نظرة على القتيل بينما كان خبراء المعمل الجنائى يقومون بتصويره ورفع البصمات التى يحتمل وجودها فى المكان .. كانت جثة القتيل قد تغطى نصفها ببطانية قديمة بينما آثار الدماء واضحة على الأرض .. والتفت المقدم سراج عندما سمع صوت امرأة تبكى بحرقة .. نظر إلى أحد رجال الشرطة الواقفين بجوارها نظرة لها معناها ..

فقال رجل الشرطة : إنها زوجة القتيل !

★ ★ ★

وعندما بدأ التجمع ينفض ، نظر المقدم سراج إلى بعض الأفيشات المعلقة على جدران المسرح الذى كان فى ذلك الوقت يعرض مسرحية (شاهد ما شافش حاجة) بطولة النجم الكوميدى عادل إمام ..

وهمس الضابط لنفسه : لعل ذلك لا يكون فألا سيئًا .. هيه ... شاهد ما شافش حاجة !

ثم بدأ يجرى معاينة لمكان الحادث .. كانت الجثة للخفير الذى يتولى حراسة المسرح .. وكانت ملقاة وسط بعض مقاعد المتفرجين وبجوارها بعض زجاجات المياه الغازية !

وكان باب قاعة المسرح الداخلى من الخشب ويحمل (ترباسًا) ضخمًا .. إذا أغلق لا يستطيع أحد فتحه والدخول من الخارج .. إلا إذا فتح له الخفير نفسه .. وكان الباب الخشبى يؤدى إلى صالة العرض وإلى يمينه شباك التذاكر .. ثم ردهة صغيرة إلى أقصى اليمين تؤدى إلى كافيتريا المسرح التى كان الطريق إليها يمتلئ بصناديق المياه الغازية .. وإلى اليسار (تواليت) السيدات ثم سلم صغير ينتهى إلى غرفة إدارة المسرح .

وعندما عاد المقدم سراج ليتحدث إلى زوجة الخفير القتيل اكتشف أنها غير موجودة .. وقبل أن يسأل قالوا له إن سيارة الإسعاف نقلتها إلى المستشفى لعلاجها .. لأن الجناة المجهولين قاموا بالاعتداء عليها بالضرب المبرح .

وهكذا .. انطلق إلى المستشفى .. ليواجه الشاهدة الوحيدة على جريمة القتل !

★ ★ ★

فى المستشفى .. كان الأطباء قد ضمدوا جراح زوجة الخفير التى جلست تروى للمقدم سراج قصة اكتشافها للجريمة ..

قالت زوجة الخفير القتيل إنها تقيم مع والدتها وطفلها الصغير البالغ من العمر ٥ سنوات فى بلدتها بالريف .. وإنها تعودت على الحضور إلى القاهرة فى نهاية كل أسبوع لزيارة زوجها وقضاء الليل معه فى المسرح بعد انتهاء عرض المسرحية .. وإنها حضرت فى اليوم السابق كالمعتاد ورحب بها زوجها وبعد أن تناولا طعام العشاء استغرق كل منهما فى النوم .. لكنها بعد قليل استيقظت على أصوات ضجة صادرة من خارج المسرح وأن زوجها استيقظ وخرج ليستطلع ما يحدث .. لكن صوت الجلبة اشتدت ، وعندما خرجت وجدت ثلاثة أشخاص يعتدون على زوجها بالضرب بزجاجات المياه الغازية .. ثم انهالوا عليها بالضرب هى الأخرى ، لكنها تمكنت من النجاة ثم لاذ الجناة بالفرار بعد أن سرقوا حافظة نقود زوجها وساعة يده .

لكن أغرب ماقالته الزوجة أنها عادت إلى الداخل لتنام بعد أن غسلت دماءها ، ثم استيقظت فى الصباح لتكتشف أن زوجها قد فارق الحياة فأسرعت تصرخ طالبة النجدة .

★ ★ ★

كانت أقوال الزوجة من وجهة نظر ضابط المباحث بلا فائدة .. فلاشىء يؤكدها أو شىء ينفيها .. وكأنها بالفعل .. شاهدة ما شافتش حاجة ! فهى لم تستطع أن تردد أوصاف الجناة وعللت ذلك بالظلام الذى كان يسود المسرح .

وطوال أسبوع كامل كان رجال المباحث قد انتشروا فى المنطقة المحيطة يتابعون ويسألون كل إنسان قد تكون لديه معلومة مفيدة تساعد فى حل لغز قضية مقتل خفير المسرح .. وبلغ عدد الذين سألهم رجال المباحث أكثر من ٥٠٠ شخص من المترددين على المسرح والعاملين فى المدرسة المجاورة ومن لهم صلة بالمسرح من قريب أو بعيد .

وظل السؤال أمام المقدم سراج : من قتل الخفير ؟

هل هى الزوجة التى قتلت زوجها ؟

إذا كانت هى القاتلة فإن أحدًا لم يكن بإمكانه أن يشهد الجريمة لأن باب المسرح كان مغلقًا من الداخل عليها وعلى زوجها .. وهل ارتكبت جريمتها بمفردها أو أن لها شركاء .. هل فاجأها زوجها مع صديق فتخلص الاثنان منه ؟

ولو صح هذا الفرض .. فإن أحدًا لايمكنه التعرف على هذا الصديق والشريك المجهول .. ومن غير المنطقى أن تشهد الزوجة على نفسها وعلى شريكها ؟!

إن تصرفات زوجة الخفير غير عادية .. كيف تستيقظ على أصوات المشاجرة .. وتشاهد الجناة المجهولين يضربون زوجها حتى الموت .. ثم يعتدون عليها بالضرب .. وبعد ذلك تغسل دماءها ثم تنام .. ثم تستيقظ لتطلب النجدة من أجل زوجها القتيل ؟

أم أن القاتل شخص آخر مجهول !

وحتى هذا الاحتمال صعب .. فلايمكن لأحد أن يقتحم المسرح وبابه مغلق من الداخل .. إلا إذا كان القاتل هو أحد مشاهدى المسرحية .. الذى تسلل إلى مكان مجهول وبقى حتى انتهاء عرض المسرحية ثم خرج من مكمنه ليقتل الخفير .. ثم يهرب !

لكن من هو ؟

وما هو الدافع الذى يجعله يقتل خفير المسرح ؟

★ ★ ★

هكذا تعقدت خيوط القضية وتشابكت ..

ولم يستطع المقدم سراج أن يعثر على دليل واحد مؤكد يشير إلى القاتل .. ورغم الشبهات التى أحاطت بزوجة القتيل إلا أنها ظلت حتى النهاية تروى نفس القصة .. لقد شاهدت الجريمة .. وكأنها لم تشاهد شيئًا !

ولم يكن هناك مفر من حفظ التحقيق فى القضية لعدم الوصول إلى الفاعل المجهول .. خاصة بعد أن شمل فحص رجال المباحث كل الأشخاص الذى يحتمل أن تكون لهم علاقة بالحادث .. ومنهم شخص أبله كان يحضر كل مساء لينام على باب المسرح لأنه بلامنزل ولامأوى .. وكان قد حضر ليلة الحادث واستغرق فى نوم عميق كما قال وأكدت زوجة الخفير المجنى عليه ..

وهكذا تحولت جريمة قتل خفير المسرح إلى مأساة تحمل اسم المسرحية (شاهد مشافش حاجة) .. فالشاهد الوحيد الذى رأى كل شىء لا يمكنه الكلام .. وهو الخفير المجنى عليه ..

هكذا حفظ رجال الشرطة والنيابة التحقيق فى القضية .. لكن بعد شهور وقع حادث جعل المقدم سراج يزداد ايمانًا بعدالة السماء .. لقد أبلغ مدير أحد الملاهى الليلية عن وقوع مشاجرة بين بعض الزبائن .. استخدموا فيها الضرب بزجاجات البيرة .. وأن أحدهم تلقى ضربة زجاجة على رأسه فلقى مصرعه فى الحال .

وكان هذا القتيل .. هو الأبله الذى ينام على باب المسرح !

★ ★ ★

كل السجينات فى سجن النساء بالقناطر يرتدين الملابس البيضاء .. ما عدا حنان !

هى وحدها ترتدى .. اللون الأحمر !

واللون الأحمر .. يعنى .. بذلة الإعدام .. وأن من يرتديه .. ينتظر مشنقة عشماوى فى أى لحظة .

و(حنان) .. صاحبة الرداء الأحمر لاتخاف من عشماوى فقط .. إنها أيضًا تخاف من الزمن على طفلتها البريئة (منى) ذات العامين إلا شهورًا قليلة .

إنها تخاف أن يأخذوا منها (منى) عندما تبلغ العامين .. أو عندما يدق عشماوى باب زنزانتها بدون موعد فى أى وقت .

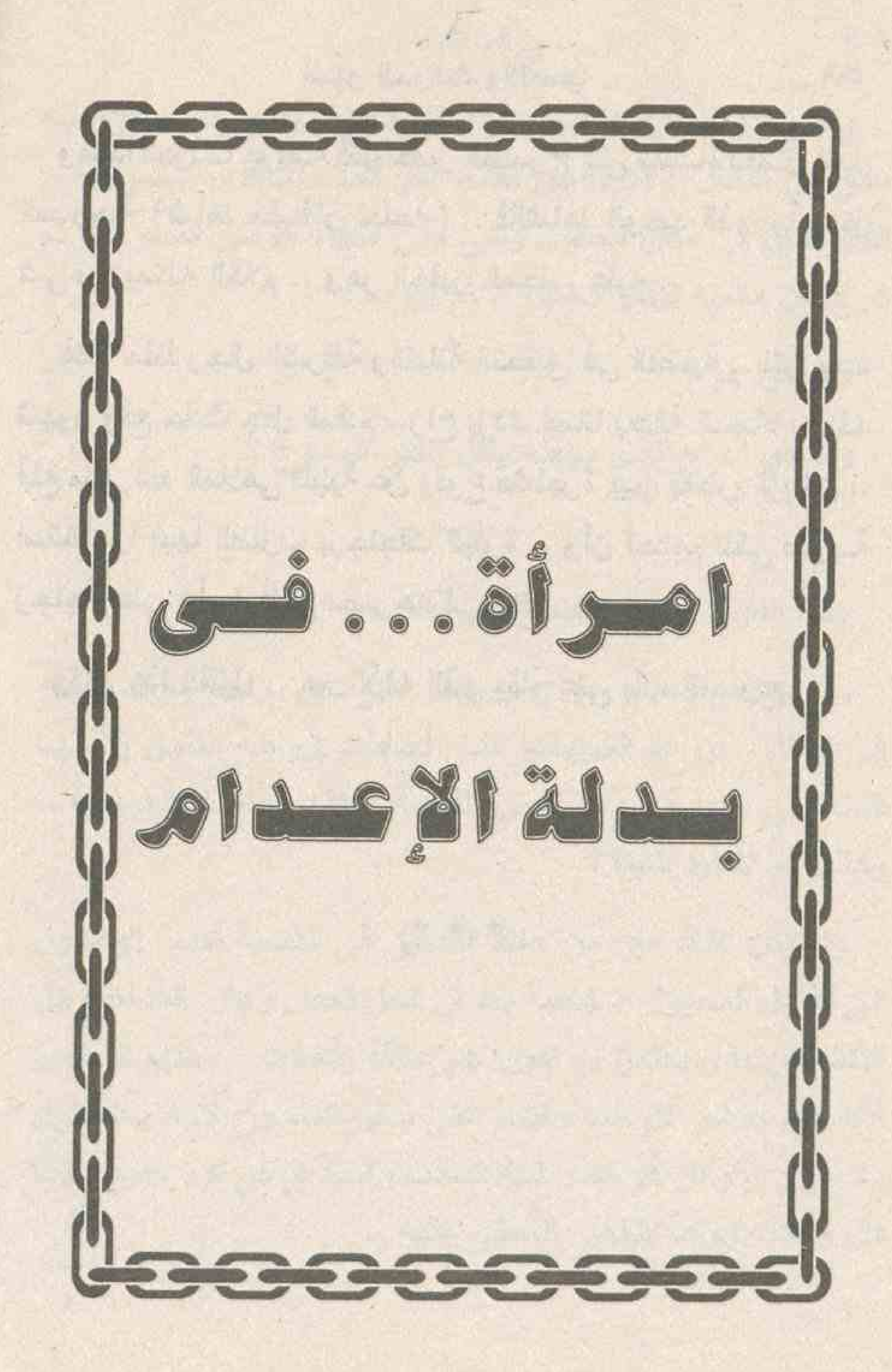
وكل أمنيتها فى الحياة .. أن تعطى طفلتها الوحيدة للسجانة (لوزة) .. التى تراها أطيب مخلوقة على ظهر الأرض !

من بعيد شاهدتها بوضوح فى فناء سجن النساء بالقناطر قادمة على استحياء فى الجلباب الأحمر ، تحمل على كتفها طفلتها الوحيدة .

وسألت نفسى : لماذا اللون الأحمر للمحكوم عليهم أو عليهن بالإعدام ؟

هل ليتذكروا فى كل لحظة أن الموت ينتظرهم على شكل (صول) فى مصلحة السجون يطلقون عليه لقب (عشماوى) ؟!

وهل هذه الطريقة الوحيدة لتمييزهم عن باقى السجناء ؟



وقبل أن أجد إجابة ، جلست أمامى السجينة (حنان محمد طه) المحكوم عليها بالإعدام فى قضية اتهامها بقتل جارتها (سعاد) !

وجلست تروى ببساطة حكايتها ، وعلى مسئوليتها تفاصيل الحكاية :

قالت : أنا من عائلة تنتمى إلى الصعيد ، لكننا كنا نعيش فى مدينة نصر ، وعندما بلغت السادسة عشرة من عمرى تقدم للزواج منى ابن خالتى (حاتم) الذى كان طالبًا فى كلية الطب ووافق الأهل وتزوجنا وعشنا فى سعادة وهدوء ، حتى وقعت الحادثة التى قلبت حياتنا رأسًا على عقب ، كان زوجى يتعامل مع جارتنا (سعاد) التى تبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا ، وكانت تحضر له الحشرات والديدان التى يمارس أبحاثه عليها ، ثم بدأت الخلافات تنشب بينهما ويبدو أنها وقعت فى حبه وكانت تريد الزواج منه .. وكانت لا تحبنى وتصفنى (بالعروسة) وفى يوم الحادث ذهب إليها زوجى وتشاجر فأرسل فى استدعائى ووقفت أشاهدهما وهما يتشاجران .. وانفعل زوجى فضربها (بخشبة) فوق رأسها فسقطت جثة هامدة .

ألم تشاركيه فى قتلها ؟

واللّه العظيم أبدًا ، لقد شاهدت ما حدث فقط !

وماذا قال زوجك فى التحقيق : هل اتهمك ؟

لم يتهمنى .. ولم يدافع عنى ، واتهمتنى حماتى بأننى كنت شريكة ابنها فى القتل !

لماذا ؟

لأنها لم تكن تحبنى .

ثم ؟

صدر الحكم ضدى وضد زوجى بالإعدام ، ويوم سمعت حكم الإعدام كان عمر ابنتى (منى) خمسة أيام فقط ضممتها إلى صدرى فى المحكمة وبكيت على نفسى وعليها .. وعدت معها إلى السجن وكل يوم أصحو فى عز الليل أتحسس طفلتى وأنا خائفة أن يأتى عشماوى فى الصباح ليخطفنى منها ومن الدنيا كلها .. أصعب شىء أن تعرف أنك ميت وأن الموت قد يأتى اليوم أو غدًا .

وكيف يكون مصير طفلتك (منى) ؟

هذا أصعب على نفسى من الموت ، فليس لى ولها واحد فى هذه الدنيا .. أمى ست عجوز مريضة لا تستطيع رعاية نفسها وليس لى أحد غيرها .

أين إذن تذهب (منى) بعد ...

أتمنى أن تأخذها سجانتى (لوزة) التى تحبها وتعطف عليها ، هذه السجانة ملاك .. لم أر أطيب منها فى الدنيا .. وهى أجدر الناس بأن تكون أم طفلتى .. خاصة أنها محرومة من الإنجاب .

وماذا تتمنين أيضًا ؟

لا شىء .. لقد قدمت طعنًا على الحكم كما تفعل أى سجينة محكوم عليها بالإعدام ومازلت أنتظر .. الأمل .. أو الموت !

★ ★ ★

الزوجة الثانية ..

تحت البلاطة !

باحبك .

وأنا باحبك .

تتجوزينى ؟

موافقة .

أنا فقير .. مدرس غلبان .. ما عنديش غير مرتبى وحبى وإخلاصى .

كفاية علىَّ .. حبك عندى أغلى من مال قارون .. نعيش سوا .. ولو على العيش والملح .

أنت حياتى .

وأنت عمرى !

قولى لوالدك .. فيه ضيف عايز يزوره الخميس الجاى .

قبل طابور الصباح تجمع زملاؤه المدرسون حوله يهنئونه ، وتحلقت حولها زميلاتها المدرسات يتخاطفن من علبة الشيكولاته المتواضعة التى اشترتها من أجلهن .. فقد كان الفرح وعقد القران (عائليًّا) بسبب الظروف ـ المادية طبعًا ـ ولم يحضره سوى أهله وأهلها .

وتم الاتفاق على أن يكون الزفاف فى أسرع وقت .. بعد أن قبلت العروس أن تعيش مع زوجها فى بيت والدته ، ولم لا وهناك أزمة سكن يعانى منها الجميع ، ثم إنه وحيد أمه وهى لا ترضى أن يترك أمه من أجلها .

وليلة الزفاف ، وحين أغلق الباب عليهما .. رفع (الطرحة) من على وجهها الذى تحول إلى لون الدم بفعل الخجل .

تعاهدينى مهما كانت الظروف .. تفضلى تحبينى لآخر العمر ؟

عهد الله .. على الحلوة والمرة ....

★ ★ ★

الحب ساحر يفعل الأعاجيب ..

كانا يعودان من المدرسة مرهقين .. يلقى بجسده على الفراش وتغير هى ملابسها ، وتسرع إلى المطبخ لتعد له لقمة الغذاء .. لم تكن لديهما حجرة طعام ، فكانا يفرشان جريدة على الأرض ويأكلان عليها ، تضع أمامه اللحم .. تطعمه بيديها ، لاتشبع إلا إذا شعرت أنه شبع !

كانت تغسل له هدومه وتكويها ، تلمع له أحذيته تفصل له بجاماته ، تقص له شعره حتى يوفرا ثمن الحلاقة ، توفر المليم على المليم لتحوش بضعة جنيهات تشترى له بها (كرافتة) فى عيد ميلاده ..

الحب .. يجعل طعم الفقر أقل (مرارة) !

مرت عليهما الأيام والشهور صعبة .. لكنها كانت جميلة حتى بعد أن زادت الأعباء ورزقها الله بمولدهما الأول الذى أصرت على أن تسميه بنفس اسم والده .

وكانت تقول له : نفسى كل الناس فى الدنيا يكون اسمهم زى اسمك .. لأنه أحلى اسم !

وحين رزقهم الله بالبنت .. اقترح عليها أن يسميها باسم والدته التى كانت قد توفيت .

قالت بصدق .. وماله .. صحيح اسم والدتك قديم وصعب .. لكن كفاية أنها والدتك .

وكما يقولون بعض الناس : البنات رزق .

فإن الإعارة لبلد عربى كانت من نصيبه بعد ميلاد البنت بأسبوع .

وبعد شهور ركبت الأسرة الصغيرة الطائرة لأول مرة فى عمرها وكلها أمل فى الخير القادم ..

★ ★ ★

خمس سنوات فى الغربة ..

فى حساب العمر كأنها خمسون عامًا .. فى الغربة الجميع فى معسكر عمل لاشىء سوى العمل ثم العمل .. دورته تبدأ فى الصباح وتنتهى عند الظهر ثم الملل والجفاف ثم العمل فى الصباح .

كانت مرافقة له ، رغم ذلك فقد أصرت على أن تعمل مثله .. ويوم تسلمت أول مرتب لها ألقت به فى حجره ، وحين نظر إليها فى دهشة .

قالت له : شيلهم معاك .. وكل شهر كدة .. مافيش فرق بيننا .. وأدى احنا بنحوش للأولاد !

خمس سنوات قضتها معه فى الغربة .. لكن بعد أن كبر الولد والبنت كان لا بد أن تعود بهما إلى مصر ليدخلا مدرسة مصرية .. واتفقت معه على أن تعود بالصغيرين وتعيش معها فى مصر .. تنفق وعليها من مرتبها كمدرسة على أن يكمل هو رحلة ادخار (تحويشة العمر) ، حتى يأذن الله باللقاء .

وعادت مع الطفلين ..

وتسلمت عملها كمدرسة ، وكانت للولد والبنت الأم والأب معًا .. وحين كان الشوق يشدها إليه ، كانت بعد أن ينام الصغيران تحضر صورته وتبثها أشواقها !

★ ★ ★

العمر يجرى دون أن تشعر ..

بعد خمس سنوات أخرى ، عاد الزوج نهائيًا للوطن ، واستقبلته بالفرحة والأحضان والدموع ، كان قد كبر وتغير .. وكانت بعض شعيرات بيضاء قد تسللت إلى ليل شعرها الأسود .

قال لها : فى هذه الحقيبة تحويشة عمرنا .. حوالى مائة ألف دولار وخمسين ألف جنية .. ما رأيك ماذا نفعل بها ؟

قالت له : نحطهم فى بنك .

قال : البنوك جايز تكون فائدتها حرام ..

قالت له : يبقى ما فيش غير شركة توظيف أموال .

قال بحزن : معظمهم نصابون .

سألته : والحل ؟

قال لها : الحل القديم .. نشوف بلاطة فى البيت .. ونخبيهم تحتها !

ويومها .. أخذت الولد والبنت فى زيارة لأهلها .. حتى يستطيع أن ينزع البلاطة التى اتفقا عليها فى حجرة نومهما .. والتى ستكون المخبأ السرى .. لتحويشة العمر !

★ ★ ★

لغز الموت : إننا لا نعرف متى يجىء !

وفى ذلك الصباح الكئيب .. حين استيقظت من نومها وجدته لا يتحرك ، فأخذت تهزه بعنف حين اكتشفت أن روحه قد فارقته ، وحين أدركت أن الحبيب والزوج وأبو العيال ورفيق رحلة العمر قد غادرها وغادر الدنيا ، شعرت أنها فقدت كل شىء ، صرخت من قلبها بكل اللوعة ، مزقت شعرها وخبطت رأسها فى الحائط .

لكن أهلها أجبروها على تناول حقنة مهدئة بعد الجنازة لتكون فى استقبال المعزين ، الذين امتلأ بهم البيت عن آخره ، نساء من عائلته وعائلتها يرتدين ملابس الحداد والدموع فى أعينهن ، والبعض جئن للمواساة من قلوبهن ، وبعضهن كن يبكين الحظ المائل .

ولاحظت أن من بين المعزيات امرأة حسناء ترتدى ملابس سوداء أنيقة ، وأن دموعها حقيقية ، كانت تهطل من عينيها ، ووسط الحزن والإرهاق لم تسأل نفسها من هى هذه الحسناء الغريبة .. لكن فى اليوم الثانى جاءت نفس الحسناء الحزينة ، وجاءت فى اليوم الثالث ، وانتظرت حتى انصرفت كل الحاضرات ، ثم تقدمَت منها على وجل .

قالت لها : قلبى معك .

ردت عليها بحزن : شكر اللَّه سعيك .

قالت لها الحسناء المجهولة : المرحوم كان رجلاً ولا كل الرجال .

سألتها بدهشة : هل كنت تعرفينه ؟

قالت الحسناء : بالتأكيد .. لأنه كان زوجى !

بعض الأخبار تكون مثل الأمطار المفاجئة لاتصيبنا بالبرد لأول وهلة وإنما يأتى البرد فيما بعد .. بعد الصدمة !

قالت لها الحسناء : نعم كان زوجى .. تزوجته منذ ثلاثة أعوام على سنة اللَّه ورسوله فى البلد العربى ، حيث كان يعمل .. وكنت أعيش بعد أن طلقنى زوجى الأول .. فى حقيبتى هذه شهادة زواجنا .. صدقينى لقد حزنت عليه كما لم أحزن على أحد .

حاولت أن تتمالك نفسها قائلة : إذن كان زوجك .. فماذا تريدين الآن ؟

قالت الحسناء : أرجوك لاتفهمينى خطأ .. أنا لم أحضر من أجل ميراث أو غيره .. لقد حضرت فقط لأقدم لك واجب العزاء .. أما من الناحية المادية فهى والحمد للَّه مستورة .. لقد كان كريمًا معى للغاية .

سألتها بلهفة : كيف ؟

قالت لها : قبل أن يموت بشهر .. ترك لى ما يضمن مستقبلى .. مائة ألف دولار وخمسين ألف جنيه و ...

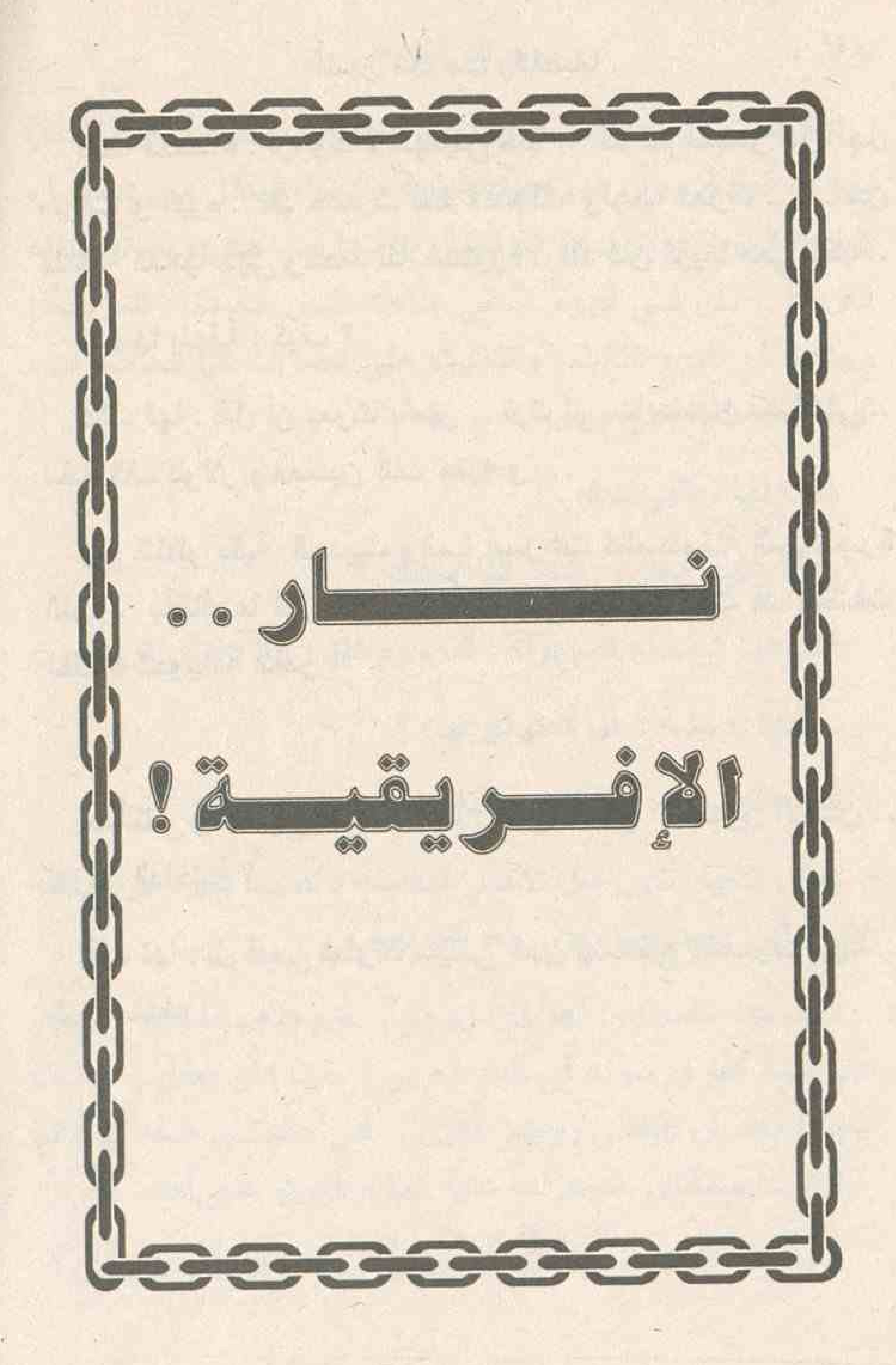
ولم تنتظر بقية الحديث وإنما أسرعت كالمجنونة إلى حجرة النوم .. بأظافرها انتزعت البلاطة .. وفى لحظات كانت قد اكتشفت اختفاء تحويشة العمر !

★ ★ ★

سألتنى والدموع فى عينيها : لمن أشكو .. لمدير الأمن .. لوزير الداخلية ؟

قلت لها : بل قدمى شكواك سيدتى لمن يستطيع التصرف فيها .. إلى السماء !

★ ★ ★



نـــار.. الإفـــريقيـــة !

فى طرف الحديقة الواسعة بنادى المعادى الهادئ فى الضاحية الجميلة القريبة من القاهرة ، جلس (جاك روزى) وحيدًا ساهم النظرات ، كان فنجان القهوة الذى أحضره الجرسون منذ فترة قد فقد سخونته ، ورغم ذلك فإن أصابع (جاك) لم تمتد إليه .. نسى القهوة .. وكان من ينظر إليه وهو فى هذه الحالة يعتقد أنه .. نسى نفسه أيضًا !

ومر شريط الذكريات فى عقله مثل فيلم سينمائى حافل بالإثارة والغرابة .. تذكر نفسه عندما ولد فى المزرعة الصغيرة التى يمتلكها أبوه فى ألمانيا ، وكيف عاش طفولته فى أحضان الطبيعة ، وتربى على أن يعمل لكى يأكل ، ولم يكن الأب يتميز فقط بما عرف عن الألمان بالحزم والشدة ، بل إن (جاك) يتذكر عن والده أشياء أخرى كان لها أكبر الأثر فى حياته فيما بعد ، كان الأب من النوع المتدين عن إيمان وليس تطرفًا أو تعصبًا ، وكان يحرم دخول الخمور فى منزله ، وتعلم (جاك) عن والده الصراحة وبغض الكذب ، وأن يعامل الآخرين بمثل ما يحب أن يعاملوه .

كان (جاك) يعتقد أن هذه الفضائل هى جواز مروره إلى الحياة الهادئة السعيدة .. ولم يكن يتخيل أبدًا أن هذه الفضائل سوف تسبب له التعاسة فى يوم من الأيام .

★ ★ ★

انتهى (جاك) من تعليمه المتوسط فى إحدى مدارس الهندسة المتخصصة ، وتخرج ليلتحق بوظيفة (فنى) فى إحدى الشركات .. وهكذا

انتقل ليعيش فى شقة خاصة به فى مدينة (هامبورج) المزدحمة بالغرباء من كل أنحاء العالم .. ولم يمض وقت طويل حتى كان قد تعرف على حسناء ألمانية تعمل فى نفس الشركة ، وتوطدت علاقتهما بسرعة ، ولأنه كان ما يزال يحمل نفس الطباع التى رباه عليها والده الذى توفى ، فقد سار (جاك) فى الطريق المستقيم ، وبعد شهور من خروجه مع زميلته ذهب يطلب يدها من أبويها اللذين وافقا فى الحال ، وتمت إجراءات الزواج بسرعة وانتقلت العروس لتعيش مع عريسها فى شقته التى أعاد تأثيثها .

ومرت السنوات هادئة ولم يكن هناك ما يزعج (جاك) خاصة بعد أن أنجبت زوجته طفلة ورثت من أمها جمالها الباهر .. لم تكن لدى (جاك) أية مشاكل فى حياته .. غير شىء واحد .. شىء يصعب على الآخرين فهمه أو تصديقه .. ذلك أن المهندس الألمانى (جاك روزى) كان قد بدأ يشعر فى قرارة نفسه .. وفى بلده .. ووسط أسرته .. كان قد بدأ يشعر (بالغربة) !

★ ★ ★

لم يكن إحساس (الغربة) الذى بدأ (جاك) يعانى منه هو نفس إحساس الغربة الذى يصيب الإنسان عندما يغترب عن بلده وناسه إذا سافر أو هاجر من بلده .. وإن كان هذا الإحساس يكاد يقترب من ذلك .. فجأة وبدون مقدمات اكتشف (جاك) أن حياة الغرب والغربيين لا تستهويه .. لم يستطع فى يوم من الأيام أن (يهضم) هذه الحرية التى بلا حدود .. وكان يستنكر فى داخله كل مظاهر التحرر والانطلاق التى تصل إلى حد الانحراف !

كان قد بدأ يضيق بهذه الحرية وهذا التحرر وبأسلوب (المادية) البحتة الذى يحكم علاقات الغربيين ببعضهم .. هذه المادية التى تسللت إلى حياة الغربيين حتى وصلت إلى داخل بيته شخصيًا !

كان قد بدأ يضيق بتصرفات زوجته التى كان صوتها يرتفع بمناسبة وبدون مناسبة ؛ لتذكره دائمًا بأنها تعمل وأنها تشارك فى أعباء الحياة ومصروفات المنزل .. وكان يمكن أن يتحمل زوجته لكن الكيل فاض به تمامًا ، عندما عادت ابنته المراهقة ذات مساء وفى يدها شاب غريب تريد أن يقضى الليل معها فى غرفتها ..

سألها بدهشة : من هذا الشاب ؟

قالت البنت لوالدها بصفاقة : إيه .. إنه صديقى !

★ ★ ★

هكذا اتخذ (جاك) أخطر قرارات حياته .. بهدوء اتفق مع زوجته على الطلاق .. وكان قد قرر أن يهجر ألمانيا إلى الأبد .. بعد أن عثر على وظيفة فى مكان يبعد كثيرًا عن ألمانيا .. بل عن القارة الأوروبية نفسها .. فى غانا بإفريقيا .. وبعد أن انتهت إجراءات الطلاق غادر (جاك) ألمانيا غير آسف عليها ولا على حياته الماضية بها ، وسافر إلى غانا .. وكل أمله أن يعيش حياة أخرى مختلفة .. وسط شعب آخر لا يعرف حرية الانحراف !

واستقرت الحياة بـ (جاك) فى (أكرا) عاصمة غانا .. وحقق نجاحًا

كبيرًا فى عمله بعد أن استأجر منزلاً صغيرًا يشبه الكوخ على ضفاف نهر صغير .. لكن القدر كان يخبىء له مغامرة مثيرة .. (على الطريقة الأفريقية) !

★ ★ ★

فى إحدى الحفلات التقى (جاك) بحسناء إفريقية فى العشرين من عمرها ، شاهدها وهى ترقص فى الحفل على دقات الطبول الأفريقية المميزة كأنها ساحرة خرجت من غابة أسطورية .. كانت (نوجانا) وهذا هو اسمها تحمل كل سمات الجمال الأفريقى .. العينان الواسعتان .. الوجه الأسمر الساحر .. الشفتان الغليظتان الواعدتان .. والقوام الممشوق وكأنها رمح إفريقى قديم !

وتعرف (جاك) إلى الحسناء الأفريقية (نوجانا) التى كانت تجيد الحديث بالإنجليزية والفرنسية .. فهى طالبة بالجامعة ووالدها أستاذ جامعى مرموق .. ولم تمض فترة قصيرة حتى كان (جاك) قد اتخذ قراره بالارتباط (بنوجانا) مدى الحياة .. وذلك بأن يتزوج منها !

وذهب إلى والدها يطلب يدها ..

قال له والدها : موافق .

قال (جاك) : لكنى لن أعيش معها فى (أكرا) .. فقد انتهت أعمال الشركة التى أعمل بها هنا .. وسيتم نقلى للعمل فى القاهرة عملية إعادة صيانة خطوط السكك الحديدية بمصر ..

قال له الأستاذ الجامعى : على الزوجة أن تعيش مع زوجها .. حتى ولو فى جهنم !

وهكذا قضى (جاك) و (نوجانا) أسبوع العسل فى (أكرا) ثم سافرا إلى (القاهرة) حيث استأجر (جاك) شقة فى حى المعادى .. وهناك بدأت الثقة تزداد إثارة !

★ ★ ★

كان (جاك) قد غرق بالفعل فى حب عروسه الإفريقية الجميلة .. وأخذ يغدق عليها الحنان والاهتمام فى كل لحظة .. كانت تتمنى فيسرع فى الحال بتلبية كل رغباتها ... وكان يذهب إلى عمله فى الصباح وكله رغبة فى أن تمر الساعات بسرعة ليعود إلى المنزل .. إلى عروسته الأفريقية الجميلة !

لكن أيام السعادة لم تستمر طويلاً ..

بدأ الإحساس بعدم الرضا عن بعض تصرفات الزوجة الصغيرة يتسلل إلى صدر الألمانى الطيب .. كان هو يفضل أن يقضيا الأمسيات بمفردهما فى المنزل .. بينما كانت العروس الأفريقية تفضل أن يقضيا سهراتهما فى الخارج .. فى أماكن اللهو وبخاصة محال (الديسكو) حيث يحلو لها أن ترقص بعنف .. وأن توافق على مراقصة أى شاب يطلب منها الرقص معه !

وحاول جاك فى البداية أن يفهمها أن هذه التصرفات تؤلمه ..

لكنها ردت عليه بعنف قائلة : الرقص حياتى .. فإذا طلبت منى التوقف عن الرقص .. كأنك تطلب منى أن أموت !

وكتم جاك فى نفسه غيظه ..

لكن الأحوال بينه وبين زوجته الحسناء الأفريقية بدأت تسير من سيئ إلى أسواء .. استيقظ فى الصباح ، فوجدها تسير فى الشقة عارية .. بينما كل النوافذ والشرفات مفتوحة !

وثار (جاك) وخرج عن شعوره ..

صرخت فى وجهه : هل أنت متخلف .. كنت أعتقد أنك أوروبى متحضر ؟!

رد عليها بعنف : أنا أوروبى لكننى لست متحررًا .. وإذا كان التحضر يعنى أن يسير الإنسان عاريًا فأنا متخلف !

ولجأت (نوجانا) إلى سلاح الدموع فظل يهدئ من روعها ويحايلها حتى انتهت المشاجرة ..

وذهب (جاك) إلى عمله .. لكن (نوجانا) كانت قد أضمرت فى نفسها شيئًا !

★ ★ ★

عندما عاد (جاك) من عمله فى المساء .. فوجئ بأن (نوجانا) ليست فى المنزل .. وعندما دخل حجرة نومه ؛ ليغير ملابسه اكتشف أنها تركت له رسالة تقول فيها : الحياة معك أصبحت مستحيلة .. لاتحاول أن تبحث عنى !

وشعر (جاك) بصدمة كبيرة .. لكن اليأس والإحباط والإحساس بالهزيمة تملكته عندما اكتشف أن عروسته الأفريقية الحسناء .. غادرت المنزل هاربة .. بعد أن استولت على كل مدخراته !

إذن هى خائنة .. ولصة أيضًا !

وأسرع (جاك) يبلغ الشرطة ، وفى اليوم التالى ذهب إلى إنتربول القاهرة الذى بادر بالاتصال بانتربول (فيسبادن) للبحث عن العروس الهاربة .. وفى اليوم التالى جاء رد إنتربول (فيسبادن) : لقد سافرت العروس إلى (ألمانيا) .. لكن لايمكن القبض عليها مالم يتقدم زوجها الألمانى بشكوى إلى البوليس الألمانى يتهمها فيها بالسرقة .. لأن الهرب من الزوج ليس جريمة !

★ ★ ★

مرت ذكرى كل هذه الأحداث فى مخيلة (جاك) وهو يجلس فى نادى المعادى وحيدًا .. وسأل نفسه : ماذا يفعل .. هل يقدم شكوى ضد زوجته الأفريقية .. وماذا يفيده إن تم القبض عليها ووضعت فى السجن .. وماذا يفعل .. لقد هرب من تحرر وجمود أوروبا لكى يكتوى (بنار) أفريقيا !

وأفاق (جاك) من ذكرياته على صوت ساحر يقول له : سيدى .. آيًا كان مايشغلك .. فلايوجد فى الدنيا مايستحق أن تضع على وجهك هذه التكشيرة !

سأله بسرعة : حتى لو كانت امرأة ؟

قال الصوت الهادئ : نعم .. ولاتوجد امرأة تستحق أن يبكى من أجلها رجل .. إلا إذا كانت أمه !

ودون أن يفكر وضع (جاك) يده على وجهه .. ليكتشف أنه كان يبكى دون أن يشعر .. ورفع عينيه إلى صاحبة الصوت الساحر .. فتاة سمراء ضئيلة الحجم .. يحمل وجهها كل براءة الأطفال .. مصرية خالصة !

ماذا قالت .. ماذا فعلت .. إن (جاك) لا يتذكر سوى أن كلماتها هبطت بردًا سلامًا على النار التى كانت تكوى أعماقه .. لا يتذكر سوى أنه تنهد من قلبه .. ونهض وهو يمد يده إليها شاكرًا .

وقال وهو يغادرها : شكرًا يا سيدتى ..

ردت صاحبة الوجه الطفولى .. بل ... آنسة !

★ ★ ★

سوف تسألون : هل انتهت القصة هكذا ؟

أقول لكم : كلا .. بل كانت هناك نهاية سعيدة جدًا .. والذى حدث بعد ذلك بأيام أن الألمانى (جاك روزى) ذهب إلى شيخ الجامع الأزهر ووقف أمامه فى خشوع .

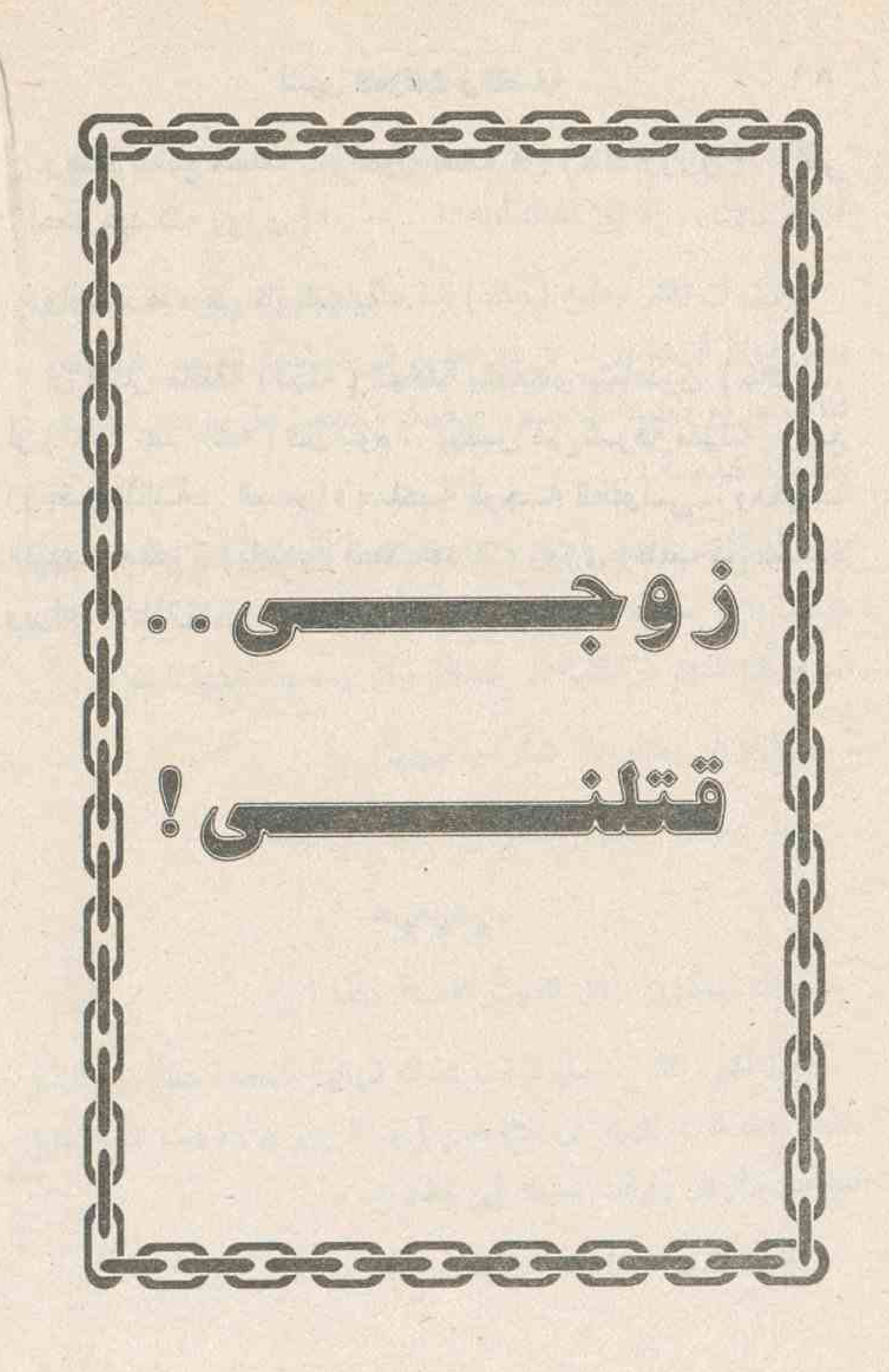
وقال : أشهد أن لا إله إلا اللّه .. وأن محمدًا رسول اللّه .

وهكذا أصبح مسلمًا .. وتحول اسمه من (جاك روزى) .. إلى (أحمد عبد الله روزى) !

وليست هذه هى كل النهاية ..

إن سكان منطقة (دجلة) الهادئة بالمعادى يشاهدون (جاك) .. أو (أحمد عبد الله) كل يوم .. يجلس فى شرفة منزله .. مع زوجته الثالثة .. السمراء صاحبة الوجه الطفولى .. ومعهما ابنتهما الصغيرة (ياسمين أحمد عبد الله روزى) تلعب فى سعادة وبراءة الأطفال !

★ ★ ★



زوجـــى .. قتلنـــى !

انطلقت سيارة الإسعاف بنفيرها المزعج المميز بسرعة جنونية نحو المستشفى ، وأخذت السيارات تفسح لها الطريق .. وكان قائدى هذه السيارات يتمنون لو انشقت الأرض عن نفق يوصل سيارة الإسعاف بالمستشفى فى ثوان !

وفى دقائق كانت سيارة الإسعاف تقف أمام باب المستشفى .. وأسرع الممرضون بفتح بابها .. وحملوا المريضة من باطنها بسرعة إلى حجرة العمليات حيث كان الأطباء فى انتظارها ..

كانت شابة حسناء فى مقتبل العمر .. لكنها كانت تبدو مثل قطعة فحم سوداء !

كانت قد تعرضت إلى حروق شديدة .. التهمت بشرتها والتهمت شعرها فبدأت صلعاء بشعة المظهر .

كانت حالتها فى منتهى الخطورة .. وقبل أن يبدأ الأطباء عملية إنقاذها الصعبة .

سألها الطبيب : من الذى أحرقك ؟

ردت بضعف : زوجى ! ثم سقطت فى غيبوبة !

★ ★ ★

إذن هى جريمة شروع فى قتل .. وربما ـ وهذا ما كان يرجحه الأطباء ـ تتوفى الزوجة متأثرة بحروقها الخطيرة فيصبح الأمر جريمة قتل .. وعندما أبلغت إدارة المستشفى الشرطة بما حدث ، أسرع

ضابط المباحث الشاب إلى هناك ، وظل يسأل الطبيب عن أقوال الزوجة التى سقطت فى غيبوبة وأصبح استجوابها مستحيلاً ، أكد له الطبيب أن الزوجة اتهمت زوجها صراحة بأنه هو الذى أشعل فيها النار !

وهكذا لم يكن أمام ضابط المباحث إلا تحرير محضر بما حدث ، وعرضه على وكيل النيابة المختص ، الذى أمر بالقبض على الزوج فى الحال .

وانطلق رئيس المباحث فى الحال فى المهمة الصعبة ليلقى القبض على الزوج ، وهو يتخيل أنه لاذ بالفرار ، بعد أن ارتكب جريمته البشعة .. لكن المفاجأة أنه عندما دخل شقة الزوجين وجد الزوج جالسًا فى حالة انهيار على أريكة فى الردهة ، والدموع فى عينيه .

كان يبكى زوجتى المحترقة ، التى كانت على وشك الموت !

★ ★ ★

لم يستمر التحقيق طويلاً .

عاد ضابط المباحث بالزوج المنهار إلى مكتبه ، كما استدعى عددًا من جيرانه ليدلوا بأقوالهم حول الحادث ، وأمام الزوج بدأ الجيران يدلون بشهاداتهم التى توجهت إلى وضع حبل المشنقة حول رقبته !

قالت إحدى الجارات :

لقد سمعت صوت صراخ جارتى المسكينة ، فظننت أن زوجها

يتشاجر معها ، لكن عندما لم يتوقف ساورنى القلق فأسرعت إلى شقتها ووجدت الباب مفتوحًا ، وعندما دخلت وجدت الزوج يحاول بهستيريا أن ينقذ زوجته التى اشتعلت فيها النيران وتحولت إلى كتلة من اللهب ، فأسرعت أتصل هاتفيًا بالإسعاف التى حضرت فى دقائق .. لكن الزوج لم يذهب معها فى سيارة الإسعاف ، وجلس فى الشقة بعد أن انخرط فى نوبة بكاء هيستيرى !

وقالت الجارة الثانية :

أنا لا أشك فى أنه هو الذى حاول قتلها بإشعال النيران فيها ، إنه لم يتوقف يومًا عن التشاجر معها ، فهو رجل غيور وهى حسناء .. ولقد تعودت على سماع أصوات مشاجراتهما كل يوم تقريبًا .. انظر إليه ياسيدى الضابط وهو يجلس صامتًا مطرق الرأس إلى الأرض ، أليس هذا مظهر قاتل نادم ؟!

وقال جار آخر :

نعم ، إنه يتشاجر معها باستمرار ، ويضربها بسبب وبدون سبب ، ولقد تدخلت بنفسى من قبل أكثر من مرة لفض مشاحناتهما .. ولا أستبعد أن يكون هو القاتل !

انتهت شهادة الجيران ، ورغم أن أحدًا منهم لم يؤكد أنه شاهد الزوج يشعل النار فى زوجته ، إلا أنهم جميعًا لم يستبعدوا أن يكون هو مرتكب الحادث .

ونظر ضابط المباحث إلى الزوج الذى كان يلوذ بصمت غريب .. فسأله :

ما رأيك ؟

رد الزوج بصوت ملىء بالألم :

نعم .. أنا القاتل !

★ ★ ★

كان اعتراف الزوج واضحًا ، وهكذا قام ضابط المباحث بتحرير محضر بالاعتراف ، وأسرع به إلى وكيل النيابة الذى قرر فى الحال حبس الزوج وتوجيه تهمة الشروع فى القتل له !

واقتيد الزوج وهو فى حالة استسلام غريبة إلى سجن المتهمين .. كان يجر قدميه بصعوبة وكأنهما مربوطتين بالسلاسل الحديدية إلى الأرض .. كان صامتًا مثل أبو الهول .. وحزينًا إلى درجة أفقدته حتى مجرد تمييز الأشخاص أمام ناظريه !

وعاد ضابط المباحث إلى عمله اليومى الروتينى ، حاول أن يشغل نفسه بأكثر من أمر ليبعد عن مخيلته تفاصيل الجريمة البشعة .. ومرت الساعات وحان وقت عودة الضابط إلى منزله بعد منتصف الليل .. غادر المكتب فى تثاقل .. ركب السيارة .. سار فى الطريق المؤدى إلى المنزل .

لكنه فجأة انحرف يسارًا .. واتجه إلى الطريق المؤدى إلى المستشفى .

★ ★ ★

رغم اتهام الزوجة لزوجها ، ورغم اعتراف الزوج ، إلا أن ضابط المباحث كاشف نفسه بالحقيقة ، إنه غير مستريح للأمر برمته .. هناك شىء غريب .. شىء غامض لا يستطيع إدراكه .

ورغم أنه يعلم بأن حالة الزوجة المحترقة لم تكن تسمح باستجوابها .. إلا أنه انطلق بعد منتصف الليل إلى المستشفى ، لعله يعثر على ما يريح ضميره .

دخل غرفة الزوجة المحترقة بخطوات مترددة ، طلب من الطبيب (النوبتجى) مرافقته .. وجلس الاثنان إلى طرف فراش الزوجة المحترقة .. لم يكن متأكدًا من أنها تسمع .

ورغم ذلك قال لها :

سيدتى ، أدعو اللّه أن ينقذك ، لكنك تواجهين موقفًا صعبًا ، وستأتى اللحظة التى تقفين فيها أمام اللّه ليحاسبك .. كل ما أرجوه هو الحقيقة ، ولا شىء غير الحقيقة .. هل حاول زوجك قتلك بإشعال النار فيك ؟

ساد صمت غريب .. وأخيرًا همست الزوجة فى ضعف :

كلا .. زوجى برىء !

استيقظت كل حواس الضابط ، وعادت الزوجة تكمل بصعوبة :

لقد أحرقت نفسى بعد أن فاض بى الكيل ، ولا أعرف كيف سول لى شيطانى بأن أتهمه بحرقى .. لكنه برىء .. ويعلم اللّه ذلك .

وفى الحظة التالية أغلقت الزوجة عينيها إلى الأبد .. وماتت !!

★ ★ ★

عند الفجر ، كان ضابط المباحث ينفذ أمر النيابة بالإفراج عن الـزوج .. سأله الضابط :

لماذا اعترفت كذبًا بأنك حاولت قتل زوجتك ؟

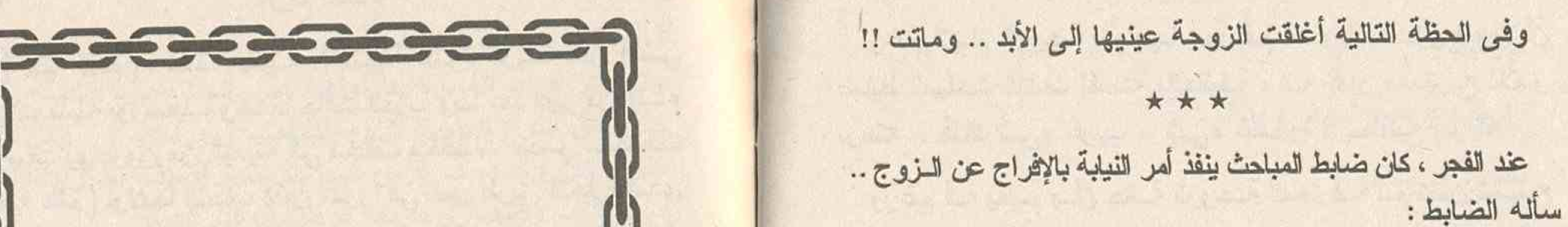
رد الزوج بحزن :

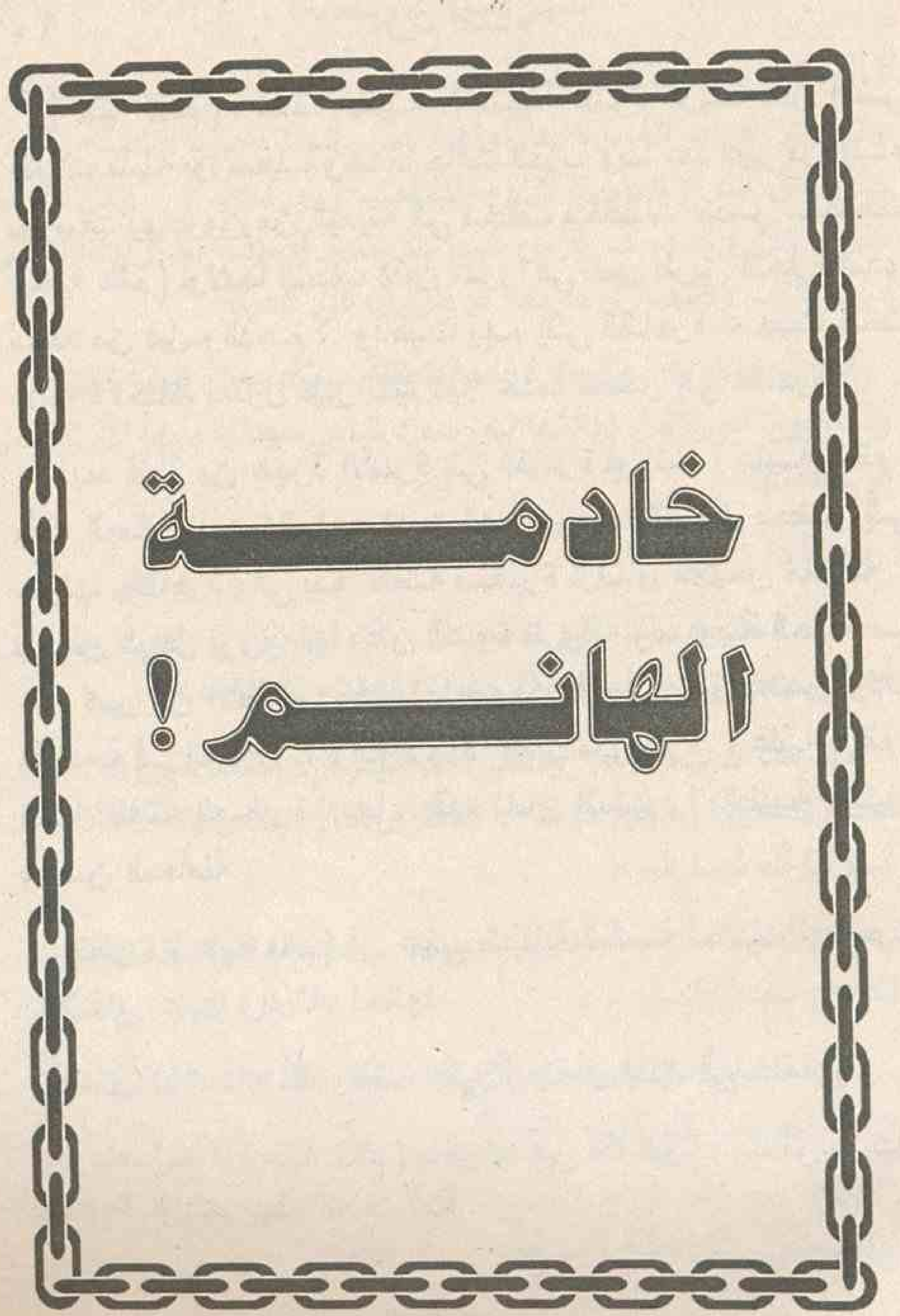
كنت سأنتحر حتمًا إذا ماتت .. فقررت الانتحار بالادعاء بأننى القاتل ، رحم اللّه زوجتى ، لقد أحببتها كما لم أحب مخلوقًا على ظهر الأرض ، ولم أكن أتصور أن أعيش بدونها .

ربت الضابط على كتفه بشفقة قائلاً :

ستعيش .. بإذن اللّه ..

★ ★ ★





(علِيّه هانم) ، سيدة جليلة .. سليلة أسرة عريقة من أغنى عائلات مدينة بورسعيد ، وعندما جاءت الحرب وبدأ عدد كبير من أبناء بورسعيد يهاجرون من المدينة إلى مختلف محافظات مصر .. جمعت (علِيّه هانم) أولادها الشباب الذين ساروا فى نفس طريق التجارة الذى سلكه من قبل والدهم .. وذهبت بهم إلى القاهرة .. حيث كانت الأسرة تحتفظ بمنزل كبير تقيم فيه عندما تحضر إلى القاهرة .

وبعد فترة من هجرة الأسرة إلى القاهرة فوجئت (علِيّه هانم) بأحد العمال الذين كانوا يعملون لدى زوجها الراحل يحضر إلى منزلها بالقاهرة وفى يده طفلة صغيرة ترتدى ملابس ممزقة .. وجلس الرجل يروى لها عن قسوة ظروفه وصعوبة الحياة مع عدد كبير من الأطفال . وقال لها إنه فكر فى أن يعمل بعض أولاده بالخدمة فى المنازل .. وإنه لا يجد أفضل من أسرة (علِيّه هانم) لتعمل طفلته الصغيرة لديها .. فهم ناس اشتهروا بالطيبة والكرم وحسن المعاملة ..

ونظرت (علِيّه هانم) فى عينى الطفلة البائسة لحظات .. شعرت بالإشفاق عليها والرثاء لحالها .

فقالت لوالدها : لقد وافقت على أن تعمل ابنتك فى خدمتى .

وعندما تعود (علِيّه هانم) بذاكرتها إلى هذا اليوم .. تتمنى لو كان لسانى لم ينطق بهذه الكلمة أبدًا .

* * *

وهكذا عاشت الطفلة الصغيرة فى منزل (علِيّه هانم) .. ولم يكن أفراد الأسرة يعاملونها على أنها مجرد خادمة .. فقد كانوا من النوع المتميز لأبناء بلدتهم بـ (بورسعيد) .. ومن ناحية أخرى كان والدهم قد غرس فى نفوسهم فضيلة احترام الإنسان مهما كانت وظيفته أو موقعه أو ظروفه فى الحياة ..

ومرت السنوات ، وكبرت الخادمة الطفلة .. وأصبحت شابة ناضجة .. وذات يوم عادت من إجازتها ببورسعيد لتخبر سيدتها بأنها لن تستمر فى خدمتها ..

سألتها (علِيّه هانم) : لماذا ؟

قالت الخادمة : لقد تقدم شاب يطلب الزواج منى .. وهو يريدنى أن أعيش معه فى بورسعيد وألا استمر فى العمل كخادمة ..

ابتسمت السيدة فرحة وقالت لخادمتها : إذن ألف مبروك .. إننى أتمنى لك حياة زوجية موفقة .. انتظرى حتى أحضر لك مكافأة كنت أدخرها لك لهذا اليوم .

وهكذا تركت الخادمة منزل سيدتها .. وذهبت إلى منزل زوجها .. لتصبح سيدة نفسها .

لكنها لم تهنأ طويلاً بحياتها الزوجية .. سرعان ما اكتشفت أن زوجها عاطل ويريدها أن تنفق عليه !

وذات يوم عاد الزوج إلى منزله ثائرًا وصرخ فى وجهها : اسمعى .. إما تحضرى لى مبلغ ألف جنيه .. أو أطلقك !

* * *

دق باب منزل (علِيّه هانم) ..

أسرعت ابنتها الكبيرة لتفتح .. فقد كانت (علِيّه هانم) قد تزايدت عليها أمراض الشيخوخة .. وأصيبت بشلل فى قدمها وبدأت رحلة قاسية مع العلاج الطبيعى ..

وفوجئت ابنتها بأن القادمة .. هى الخادمة !

رحبت بها قائلة : أهلاً وسهلاً .. لقد جئت لزيارتنا فى الوقت المناسب .. لقد تأخرت على عملى ويمكنني الآن أن أذهب وأترك أمى فى رعايتك ..

ظهرت ابتسامة غامضة على وجه الخادمة ..

وقالت : اذهبى بالسلامة .. سوف أجلس مع سيدتى حتى تعودى .

وانصرفت الابنة .. فى نفس اللحظة التى كانت (علِيّه هانم) تجر قدميها المشلولتين فى تثاقل وهى ترحب بخادمتها التى تزوجت .

وجلست الاثنتان معًا .. بمفردهما فى المنزل ..

نظرت (علِيّه هانم) إلى شغالتها بحنان ..

سألتها : هه .. ما أحوالك .. ما أحوال زوجك ؟

زفرت الخادمة فى ضيق ..

وقالت لها : الأحوال تسير من سيئ إلى أسوأ !

أطرقت (علِيّه هانم) إلى الأرض .. شعرت بالشفقة على خادمتها السابقة .. قررت أن تساعدها بمبلغ من المال ..

وعادت لتسألها : هل أنت جائعة ؟ هل أقدم لك بعض الطعام ؟

هزّت الخادمة رأسها بالنفى ..

فقالت (علِيّه هانم) : إذن .. تشربين الشاى ..

ونهضت السيدة .. لتعد الشاى (لخادمتها) !

وجلست الخادمة تشرب الشاى .

وسيدتها السابقة تقول لها : يجب عليك أن تتحملى الحياة .. إن الظروف السيئة لا يمكن أن تستمر .. إن شاء اللّـه سوف تتحسن كل ظروفك .

كانت السيدة العجوز الطيبة القلب تفكير فى شىء .. بينما كانت خادمتها السابقة تفكر فى شىء آخر !

كانت الخادمة تفكر فى الظنون السوداء التى هاجمت رأسها بقسوة .. كانت تسأل نفسها : لماذا يولد بعض الناس أغنياء ويولد الآخرون فقراء ؟

نظرات إلى الأساور الذهبية التى تغطى معصمى سيدتها العجوز وقالت لنفسها : هذه العجوزة المخرفة .. ترتدى كل هذا الذهب .. وأنا الفتاة الصغيرة .. العروس .. لا أملك حتى ثمن خاتم صغير .. هى تعيش فى استقرار وسط أولادها .. وأنا حياتى وبيتى مهددان وسيطلقنى زوجى إذا لم أحضر له مبلغ الألف جنيه !

وهنا .. نظرت (عليّه هانم) إلى وجه خادمتها .. وشعرت بالبرودة تسرى فى جسدها ، كان وجه الخادمة قد التوت ملامحه واكتست بملامح شيطانية غريبة .. وتحولت نظراتها إلى سهام فولاذية قاسية تدور فى المكان الذى عاشت فيه معظم طفولتها .. تسمح وتكنس وتغسل للآخرين ..

فى هذه اللحظة .. ولدت الجريمة ..

★ ★ ★

قالت الخادمة لسيدتها : هل يمكن أن تقرضينى كمية من الأرز ؟

قالت العجوز : وهل هذا يحتاج إلى سؤال يا ابنتى .. الخير كثير والأرز موجود لدينا بكميات كبيرة .. سأحضر لك بعضًا منه من المطبخ ..

ونهضت العجوز نحو المطبخ ..

وعلى أطراف أصابعها .. سارت الخادمة وراء سيدتها دون أن تشعر .. خلعت الإيشارب الأسود الذى كانت ترتديه .. اقتربت من ظهر سيدتها .. وفى لحظة خاطفة كانت تحيط رقبة سيدتها العجوز بالإيشارب وتطرحها أرضًا !!

سقطت (علِيّه هانم) على الأرض .. وتأوهت ...

حاولت أن تنهض .. فلم تستطع ساقها المشلولة أن تحملها .. نظرت فى عينى خادمتها التى كانت تقف فى المطبخ فوقها مباشرة ..

همست فى رجاء : ساعدينى .. لأقف !

لم ترد الخادمة .. بل انحنت بسرعة لتنتزع أساورها الذهبية من يديها بعنف ..

شعرت العجوز بالخوف يسرى فى بدنها .. وجف ريقها من المفاجأة المذهلة ..

قالت لخادمتها : إذا كنت تريدين نقودًا .. سأعطيك .. وحتى إذا كنت تريدين الأساور الذهبية .. خذيها !

لم ترد الخادمة .. نظرت بقسوة فى عينى سيدتها ..

وقالت بصوت متحرش : هل تعرفين ماذا سأفعل بك ؟

أصيبت العجوز برعب قاتل ولم تستطع أن ترد ..

قالت الخادمة : سأقتلك .. بل سوف أحرقك !

صرخت العجوز : لماذا ؟

قالت الخادمة : حتى تلتهمك النار .. ولايعرف أحد من الذى سرق أساورك الذهبية .

وقبل أن ترد العجوز ..

أسرعت الخادمة إلى دولاب بالمطبخ .. أخرجت منه موقد كيروسين قديم .. وأخذت تغرق سيدتها المشلولة الملقاة على الأرض بالكيروسين .. والعجوز تتلوى من الخوف ولا تستطيع أن تنهض ..

وأصيبت الخادمة بالهستيريا .. ظلت تصرخ فى وجهها : سأحرقك .. سأحرقك .. وبعد أن تأكدت من أن ملابس سيدتها قد ابتلت وتشربت تمامًا بالكيروسين .. أسرعت تمسك بعلبة الثقاب .. أخذت عودًا وأشعلته وقذفته نحو سيدتها !

لكن مفاجأة غريبة حدثت .. بمجرد أن سقط عود الثقاب المشتعل على جسد العجوز .. حتى انطفأ !

وأشعلت الخادم عود آخر وألقته على صدر سيدتها .. فانطفأ العود الثانى .

وبعصبية شديدة أخذت الخادمة تشعل أعواد الثقاب وتلقيها على سيدتها فتنطفئ وحتى بلغ عدد أعواد الثقاب التى أشعلنه حوالى ٤٠ عود ثقاب !

★ ★ ★

وأحضرت الخادمة صندوق ثقاب آخر .. وفى هذه المرة اشتعلت النار فى العجوز .. وظلت الخادمة تقف بجوار رأسها التى بدأت تتلوى من الخوف من النار .. وعندما تأكدت الخادمة من أن النيران أمسكت بجسد سيدتها .. فرت هاربة بالأساور الذهبية !

وشاءت إرادة اللّه أن تعيش (عليّه هانم) !

تجمع الجيران على صوت صراخها .. حطموا الباب ونقلوها إلى المستشفى بسرعة .. ورغم أن حروقها كانت خطيرة .. إلا أن الأطباء أنقذوها وعبرت مرحلة الخطر !

أما الخادمة .. فقد ألقت الشرطة القبض عليها فى نفس اليوم .. وعثرت على الأساور الذهبية المسروقة معها ..

وعندما سألها المحقق : لماذا فكرت فى سرقة سيدتك السابقة ؟

قالت ببرود : حتى لا يطلقنى زوجى !

قال لها المحقق : كان يمكن أن تسرقيها .. دون محاولة حرقها ؟

قالت بنفس البرود : أردت الانتقام منها !

وأحيلت الخادمة إلى المحاكمة .. بأكثر من تهمة . السرقة بالإكراه .. الشروع فى القتل .. محاولة حرق الشقة !

★ ★ ★

هذا الطوفان من إعلانات الثلاجات والتليفزيونات والغسلات .. (لحس) عقول النساء فأصبح التليفزيون ذو الـ ٣٠ قناة هو حلم حياة (عنايات) .. والثلاجة ذات الثلاثة أبواب هى غاية المراد عند (فتاكات) !

لكن واحدة منهما لا تفكر أبدًا فى الثمن !

وإذا سألتها تقول بلا مبالاة : كلها بالتقسيط ، يا أخويا !

هكذا كانت تفكر (منال) عندما رغبت فى شراء بوتاجاز (إشعال ذاتى) !

وانتهى بها الأمر إلى أن (تحرق) عامين من عمرها فى السجن !

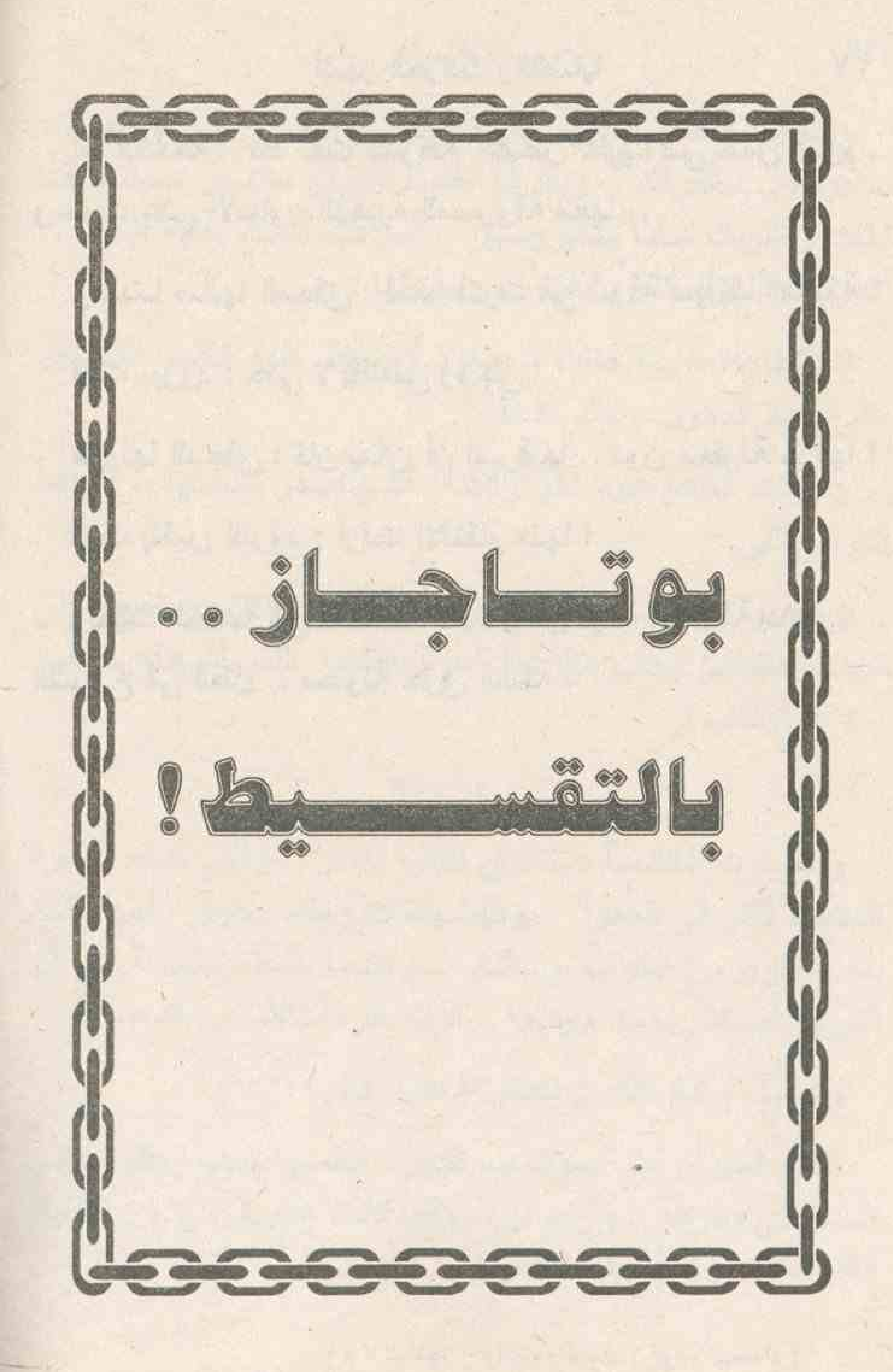
★ ★ ★

نعم .. شر البلية مايضحك !

أما البلية فتجسدها نظرة الحزن فى عينى السجينة (منال) ذات الثلاثة وعشرين عامًا ، التى وجدت نفسها فجأة مع طفلتها الصغيرة (ريم) فى السجن مع القاتلات وتاجرات المخدرات ، لمجرد أنها وقعت على شيك !

وتعالوا نسمع الحكاية منها ..

تقول (منال) : والنبى ماكنت عارفة أن الموضوع حاينتهى كده ، أنا مجرد بنت عادية من الجيزة ، اتجوزت (نقاشًا) وكان كل أملى أعيش فى بيت أكون فيه الملكة ، وبعد الجواز بحوالى ٣ سنين ، وكنت



بوتاجاز .. بالتقسيط !

خلفت بنتى (ريم) شفت فى التليفزيون إعلان عن (بوتوجاز إشعال ذاتى) ماعرفتش أنام وكنت كل ليلة أحلم بيه ، وفجأة لقيت البوتاجاز عند تاجر يبيع بالتقسيط .. دبرت من هنا ومن هناك ، وجمعت المقدم ، وكتبت على نفسى شيكاً بـ ١٥٠٠ جنيه باقى الثمن ، وأخذت البوتاجاز وجرى على البيت ، وندهت جيرانى يتفرجوا عليه !

وبعدين ؟

ولاقبلين .. فات شهر والثانى ، وما قدرتش أدفع الأقساط فاشتكانى صاحب المحل ، ومرة واحدة لقيت نفسى فى النيابة ، وخرجت بكافلة ، أتارى الراجل ماشى فى القضية ، وبعدين لقيت البوليس بيخبط على الباب وقبضوا على وقالوا لى إن المحكمة قضت بحبسى لمدة سنة .

ـ ومتى تنتهى سنة السجن ؟

ـ انتهت الشهر اللى فات يا أخويا !

ـ وإيه اللى مخليك فى السجن ؟

أصلك ماتعرفش .. قبل السنة ما تنتهى بشهر فوجئت بحكم تانى بالحبس سنة ثانية !

ليه ؟

أصل أخو جوزى اشترى حاجات بالتقسيط وأنا ضمنته ومضيت على شيك بباقى الأقساط وبعدين هو مادفعش وهرب ، فاتحبست بداله !

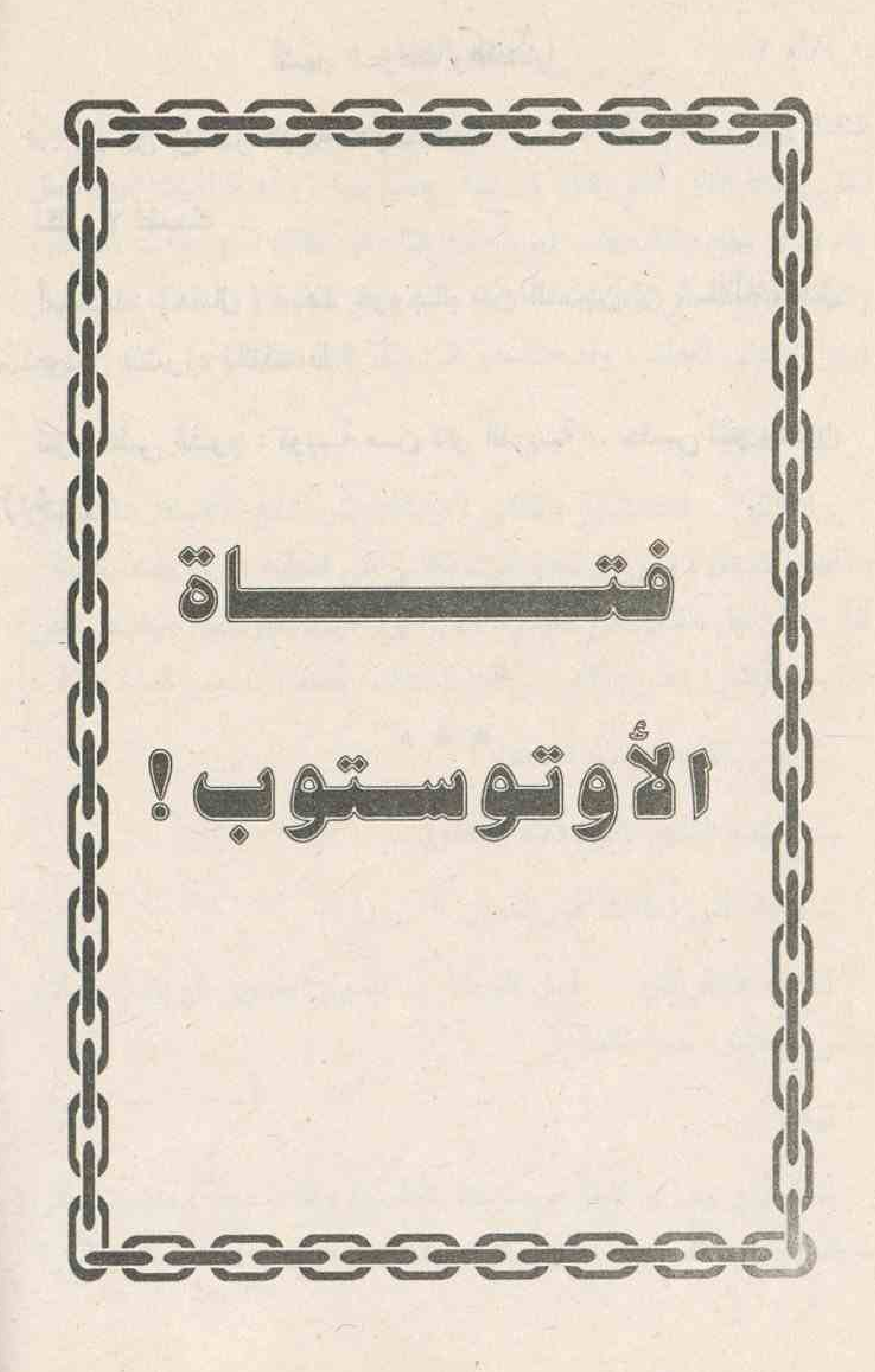
.. ألم أقل إن شر البلية ما يضحك ؟

لكنى لا أضحك ..

أسألها : (منال) ، بعد خروجك من السجن إن شاالله ، هل ستعودين للشراء بالتقسيط ؟

ترد على الفور : توبة من دى النوبة .. حتى لو يكون (دش) !

★ ★ ★



هذه المرة كانت رحلة (فتاة الأوتوستوب) مختلفة !

فبدلاً من السيارات الفارهة .. ركبت (سيارة الترحيلات) إلى سجن النساء !

والسائق هذه المرة كان شرطيًا .. وليس ذئب نساء . أراد اقتناصها . فجردته من نقوده وساعة يده .. تحت تهديد المطواة قرن الغزال !

هذا هو عالم الجريمة بحق . إن الضحية فى أحيان كثيرة تصبح هى المتهم وكأنها تنتقم من الظروف الصعبة التى قادتها إلى طريق الشر !

بدموع الندم ، والحسرة أيضًا ، تروى (روحية) ذات الخمسة وعشرين عامًا قصتها مع عالم الجريمة :

ولدت فى أسرة فقيرة فى حى روض الفرج وسط ٨ إخوة وأخوات وأب عامل بسيط وزوجة أب قاسية لا ترحم لم أكمل تعليمى ، وهربت من المدرسة فى الصف السادس الابتدائى ، وعندما بلغت السادسة عشرة من عمرى عملت شغالة لدى أسرة فى الهرم ، وبعدها تعرفت على شاب يكبرنى بحوالى ١٦ سنة .. وتزوجته دون أن أعرف إننى أصبحت الزوجة الثانية ، وإنه تزوجنى ليحرضنى على الانحراف .. ورغم أننى كنت قد أنجبت له طفلى الوحيد إلا أننى هربت منه ، وعدت لأعمل شغالة لدى أسرة فى حلوان ، لكنهم (أكلوا) على أجرتى فتركتهم إلى الشارع .

كيف تحولت من شغالة إلى لصة ؟

كنت أسير فى الشارع ذات ليلة ، عندما خرج على من الظلام شاب هددنى بمطواة ودار بيننا حديث أقنعنى فى نهايته أن أنضم إلى عصابته التى كانت تسرق أصحاب السيارات بالإكراه .

كيف كان ذلك ؟

كانوا أربعة ، وكنت خامستهم .. كنت أرتدى ثيابًا على الموضه وأضع الماكياج .. وأقف فى الطرق السريعة المظلمة ، ثم أختار سيارة وأشير لقائدها فى دلال على أننى أرغب فى الركوب معه بطريقة الأوتوستوب .. وبمجرد أن يتوقف ويفتح لى الباب يظهر أفراد العصابة المختفون وينقضون عليه بالمطاوى ويسرقون نقوده وذهبه ، وعادة يخجل من إبلاغ الشرطة ، لكننا سقطنا جميعًا فى أيدى الشرطة فى آخر عملية .

- ألم تشعرى بالخوف مع العصابة ؟

- لا .

- ماهى الفترة التى ستقضيها فى السجن ؟

- ١٣ سنة .

- وأين طفلك الآن ؟

- تم إيداعه دار رعاية الأحداث .

- هل يزورك أحد فى السجن ؟

- ليس لى أحد فى هذه الدنيا .

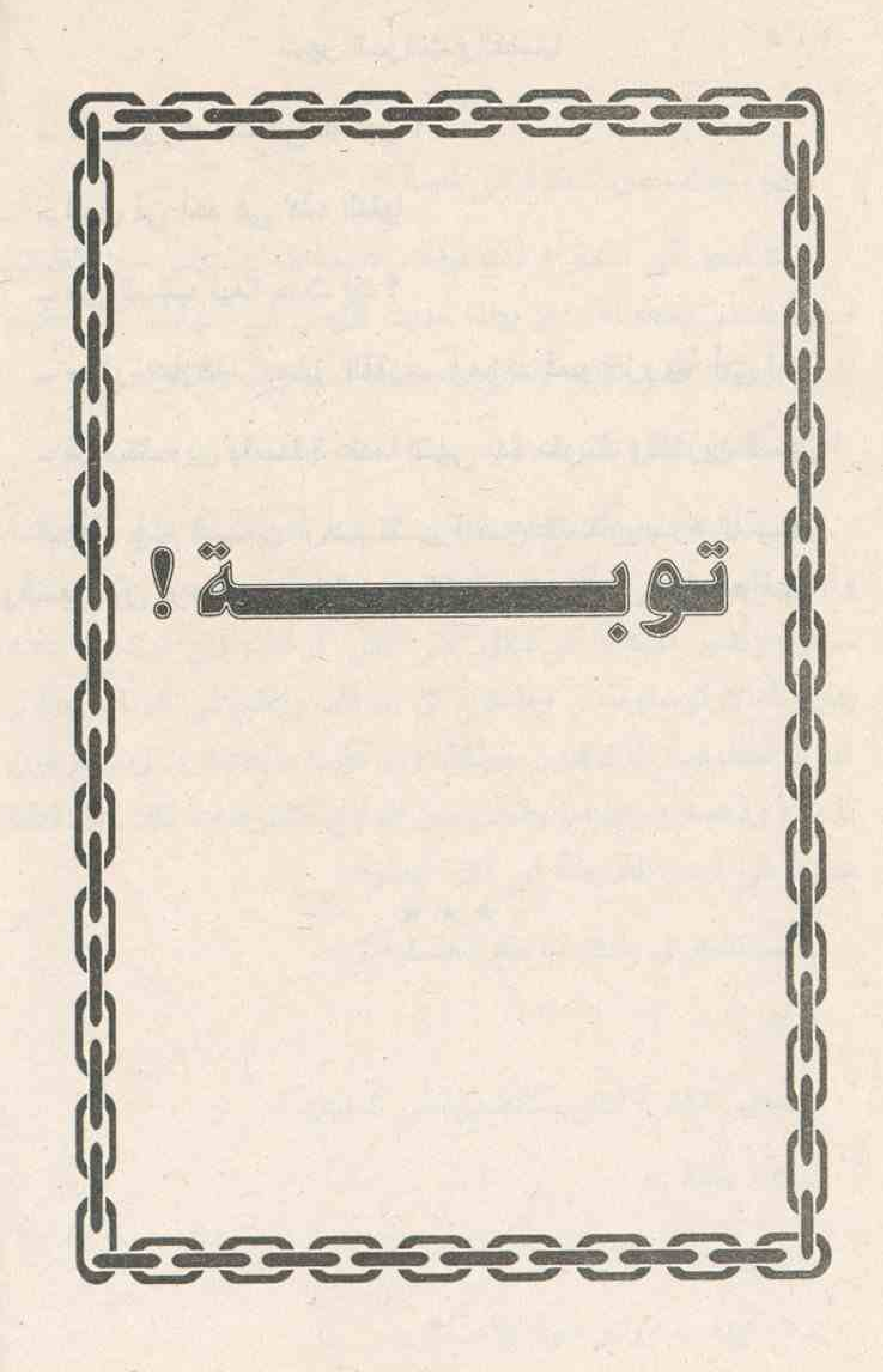
- من السبب فيما حدث لك ؟

- موش عارفه .. جايز الفقر .. ومؤكد قسوة زوجة أبى !

- هل ستشعرين بالسعادة عندما تنتهى مدة عقوبتك وتغادرين السجن ؟

أبدًا .. فى السجن أرحم كثيرًا من الناس بره السجن .. والمجرمون بره السجن أكثر من اللى جواه .. بس مين يعرف ؟!

* * *



عندما تأتى النصيحة من رجل الشرطة .. لا يهتم أحد ولا يستوعب ولا يدرك .

فماذا لوجاءت النصيحـة .. مـن لصـة محترفـة تسـرق البيـوت .. والمحلات .. والسيارات أيضًا !

لكن حتـى نـدرك (أهميـة) النصيحـة .. لابد أن نعرف مـدى خطورة صاحبتها !

الاسم : (صباح) .

العنوان : سجن النساء بالقناطر الخيرية .

العقوبة : ٧ سنوات سجنًا .

وإليكم اعترافاتها الصريحة والمثيرة ..

بعد أن حصلت على دبلوم التجارة ، تعرفت على شاب من منطقة باكوس بالإسكندرية ، التى هى موطنى ، وبعد أن أحببته اكتشفت أنـه لص محترف ، ورغم اعتراض أهلى ، فقد تزوجته ، وأنجبت له أربعة أبناء .. ذات يوم كنت مهمومة ومزاجى عكر ، فعرض على زوجى أن يعطينى (حقنة ماكس) ، ما إن أخذتها حتى شعرت بأننى أطير فـى السماء .. وفى اليوم الثانى طلبـت منـه الحقنـة بمحض إرادتـى ، وهكذا أصبحت مدمنة وفرش لى الإدمان طريق الانحراف . تعرفت على صديقة سوء تدعى (دنيا) عند الكوافيرة التـى كـانت أول ضحايـاى ، فبعد أن نشب خلاف بينى وبينها قررت الانتقام منها وقمت بمساعدة صديقتى بسرقة شقتها . وهكذا أصبحت لصة منازل أو مـا يطلقـون عليه (هجامة) !

ـ ما هو الوقت المثالى لسرقة الشقق .. وكيف كنت تقومين بذلك ؟

ـ أفضل وقت من التاسعة إلى الواحدة ظهرًا .. وقت وجود الموظفين فى أعمالهم ، وكنت أختار أية شقة وأدق بابها بطريقة عادية فإذا فتح أحد أسأل عن أى اسم وهمى وإذا لم يرد أحد أقوم بكسر باب الشقة بواسطة (مبرد حدادى) .

ـ من هى أخطر لصة بيوت فى الإسكندرية ؟

ـ من تدعى (أم سمر) .. وتقوم بعملياتها مع زوجها ولها خبرة عالية فى فتح أبواب الشقق حتى لو كانت مزودة بأجهزة إنذار .

ـ ماذا كنت ترتدين وأنت تقومين بعمليات السرقة ؟

ـ كنت دائمًا على (سنجة عشرة) .. ماكياج ، وملابس فخمة ، حتى لا يشك بى أحد .

ـ وعمليات سرقة المحلات التجارية ؟

ـ بعد أن اكتشف زوجى إننى أصبحت مثله لصة محترفة شاركنى فى سرقة بعض المحلات التجارية ..

ـ وكنت تسرقين محتويات السيارات .. فى عز النهار ؟

ـ طبعًا .. وحتى لا أثير الشبهات ، كنت أختار السيارت التى تقف فى الميادين المزدحمة وأمام المحاكم وأقسام الشرطة !

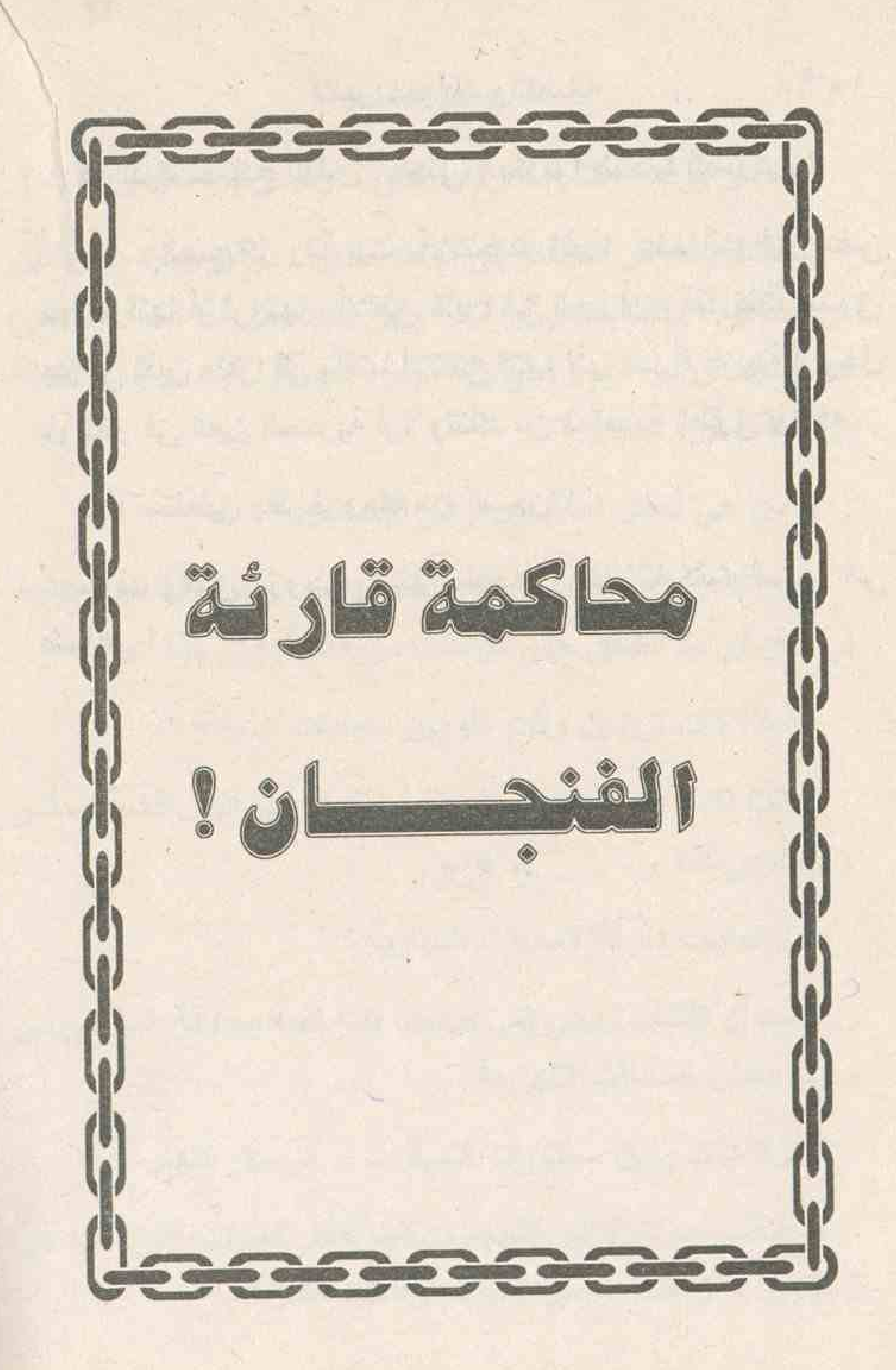
هل لديك نصائح للناس .. حتى لا يكونوا ضحايا للصوص ؟

نعم .. أنصح كل ربة بيت بألا تتحدث كثيرًا عند الكوافير على مجوهراتها أو ثروتها وألا تثق كثيرًا فى الجيران ، فقد كنت أسرق جيرانى الذين وثقوا فى وأيضًا ألا تفتح الباب لأى امرأة غريبة أو رجل بل تنظر فى العين السحرية أولاً وتتأكد من شخصية الطارق وهدفه .

ماذا ستفعلين بعد خروجك من السجن ؟

سوف (أطلق) زوجى ، ربنا يسامحه .. مخدراته كانت السبب فى ضياعى !

★ ★ ★



محاكمة قارئة الفنجان !

طافت كل مصحات العالم والتقت بمشاهير الأطباء النفسيين فى كل بلاد الدنيا .. لكنها لم تجد دواء يشفيها وينقذها من العذاب الذى تعيش فيه منذ سنوات .. تحولت حياتها خلالها إلى جحيم لا يطاق .. نصحوها بالراحة والاستجمام ونصحوها بالسفر (وتغيير الهواء) ، وصفوا لها عشرات من الأدوية والمهدئات .. فأصبحت تنام بالقرص الأحمر وتصحو بالقرص الأصفر .. تتكلم بعد أن تتناول القرص الأخضر وتأكل بعد أن تبتلع القرص الأبيض .. لكن بلا فائدة .. فقد ظل المجهول الغامض يصرخ فى عقلها .. ويحدثها بما لا تطيق أن تسمع .. أو تفهم .. حتى أخبروها عن قارئة الفنجان ..

وهى لا تذكر كيف أصيبت بهذا المرض الغامض الذى حار فيه الأطباء .. إنها متأكدة من أنها لم تصب به بالوراثة فوالديها من العقلاء وكذلك كل أفراد أسرتها .. وهى نفسها لم تشك لحظة فى قواها العقلية رغم غرابة ماعانته ..

كانت حياتها عادية تمامًا .

ولدت وعاشت وتربت فى كنف أسرة تقليدية محافظة على الأخلاق والتقاليد .. عاشت طفولتها مثل أى طفلة فى عمرها .. لم يكن يميزها عن شقيقاتها سوى ميلها الواضح إلى الهدوء والمسالمة .. وعندما التحقت بالجامعة وقبل أن تنهى عامها الدراسى الجامعى الأول .. دق باب أسرتها .. (عريس الغفلة) ..

كان ابن عمها الذى سافر للخارج منذ سنوات للحصول على رسالة

الدكتوراه وعاد بعد غيبة عن الوطن .. ليتم تعيينه فى مركز مرموق بإحدى الشركات الكبرى .. ولم تجد مبررًا لأن ترفض الزواج من ابن عمها .. الذى كان رفيق طفولتها .. لكنه أصبح الآن رجلاً مرموقًا ذا شأن فى المجتمع .

ووافقت على الزواج من ابن عمها .. بشرط واحد !

★ ★ ★

وتزوجت وعاشت سعيدة ليس لأن زوجها وافق على شرطها بل لأنها وجدت فيه نعم الزوج المخلص والصديق الوفى .. نعم .. كان زوجها يحنو عليها ويرعاها وكأنها ابنته وليست زوجته .

وتجرعت كأس السعادة حتى الثمالة .. فما كان زوجها يرفض لها طلبًا .. فبادلته حبًا بحب وحنانًا بحنان وأصبح عش الزوجية جنة صغيرة للزوجين الشابين .. خاصة بعد أن منَّ اللَّه عليهما بولد جميل يشبه أباه وبنتًا رائعة الحسن جاءت صورة مصغرة من أمها .

كانت الحياة فى نظرها سعادة دائمة والدنيا فى عينيها سلام جميل لا يكدر صفوه شىء .. حتى جاءت تلك الليلة المشئومة التى استيقظت فيها من النوم على صوت غريب .

قال لها : استيقظى حالاً .. استيقظى !

وهبت مذعورة فى الظلام ...

التفتت إلى زوجها معتقدة أنه هو الذى يحدثها .. لكنها فوجئت بزوجها يغط فى نوم عميق !

ولم تكد تفيق من دهشتها من هذا الصوت المجهول حتى بوغتت بنفس الصوت واضحًا فى أذنيها :

ألا تسمعيننى .. أتظنين إننى زوجك .. أنت واهمة !

★ ★ ★

ومنذ هذه الليلة الغريبة لم يفارقها (الصوت الملعون) الذى كانت تسمعه بوضوح .. كان يحدثها متى أراد وفى أى مكان .. والغريب أن أحدًا غيرها لم يكن يستطيع سماع هذا الصوت الذى كان أشبه بصوت (أسطوانة مشروخة) !

وبدأت أعصابها تتوتر والزمام يفلت من يديها .. كانت تجلس للمذاكرة فيقتحم الصوت هدوءها .

لماذا تذاكرين .. هل تعتقدين أن النجاح مضمون .

تغمض عينيها حتى لا تسمع ..

فيقول : غيرك كان أشطر !

تضع يديها على أذنيها ..

فيصرخ : لن تنجحى أبد !

فتهب صارخة فى هستيريا كالمجنونة وينتفض زوجها فيحتضنها ويحاول أن يهدئها .. بعد أن استنفذ كل قواه فى محاولة إقناعها بأنه لا يوجد صوت .. وإنما هى مجرد أوهام .

لكنها تصرخ باكية ، بل أسمعه .. وهو موجود لكنكم لاتصدقوننى !

وذات يوم أشارت عليها إحدى صاحباتها بأن تذهب إلى زيارة (جواهر) فربما يأتى الشفاء على يديها !

وعرفت أن (جواهر) قارئة فنجان عجوز اشتهرت بقدرتها على التنبؤ بالطالع .. وعلمها الواسع بعالم الجن الخفى .

واستجمعت شجاعتها وذهبت إلى قارئة الفنجان العجوز فى منزلها بإحدى حوارى منطقة عابدين الضيقة .. وصعدت درجات عمارة قديمة متهالكة حتى وصلت إلى حجرة مظلمة كئيبة .. وهناك التقت بالعجوز (جواهر) .. كانت تجلس على أريكة قديمة وأمامها موقد فخارى تتصاعد منه الأبخرة والروائح العطرية ..

رمقتها العجوز بنظرات حادة من عينيها الضيقتين اللتين أحاطتهما بالكحل الأسود .. فزادهما غرابة وغموضًا ..

بادرتها العجوز بصوت متحشرج : حائرة أنت ومتعبة ؟!

لم ترد .. وأومأت برأسها المرهق ..

قالت العجوز : وحيرتك بسبب شخص .. أليس كذلك ؟

ردت بدهشة : نعم .. كيف عرفت ؟

صرخت العجوز : كيف تجرؤين .. إن طالعك صريح فى عينيك .. ثم إننى أنا (جواهر) أشد قارئة فنجان .. ألاتعرفيننى .. أنا التى تنبأت بموت الفنان (عبد الحليم حافظ) قبل أن يموت !

ومدت العجوز يدها ببطاقة إلى الزوجة المسكينة .. قرأتها بسرعة .. البطاقة تحمل اسم قارئة الفنجان العجوز وتعدد أهم تنبؤاتها ومن بينها نبذة عن وفاة (عبد الحليم حافظ) !

قالت لها بحزن : يا سيدتى .. خلصينى من الشر المجهول الذى يطاردنى والذى لا يسمعه أحد .

أغمضت العجوز عينيها وتقلص وجهها بشدة وكأنها تعانى ..

وقالت : باسم اللّه ولاشىء غير اسمه القادر .. سوف أخلصك من هذا الصوت الملعون ..

انفرجت أسارير الزوجة ..

لكن العجوز (جواهر) أكملت قائلة : لكن المطلوب ثلاثة آلاف جنية !

قبل أن تفتح الزوجة فمها ..

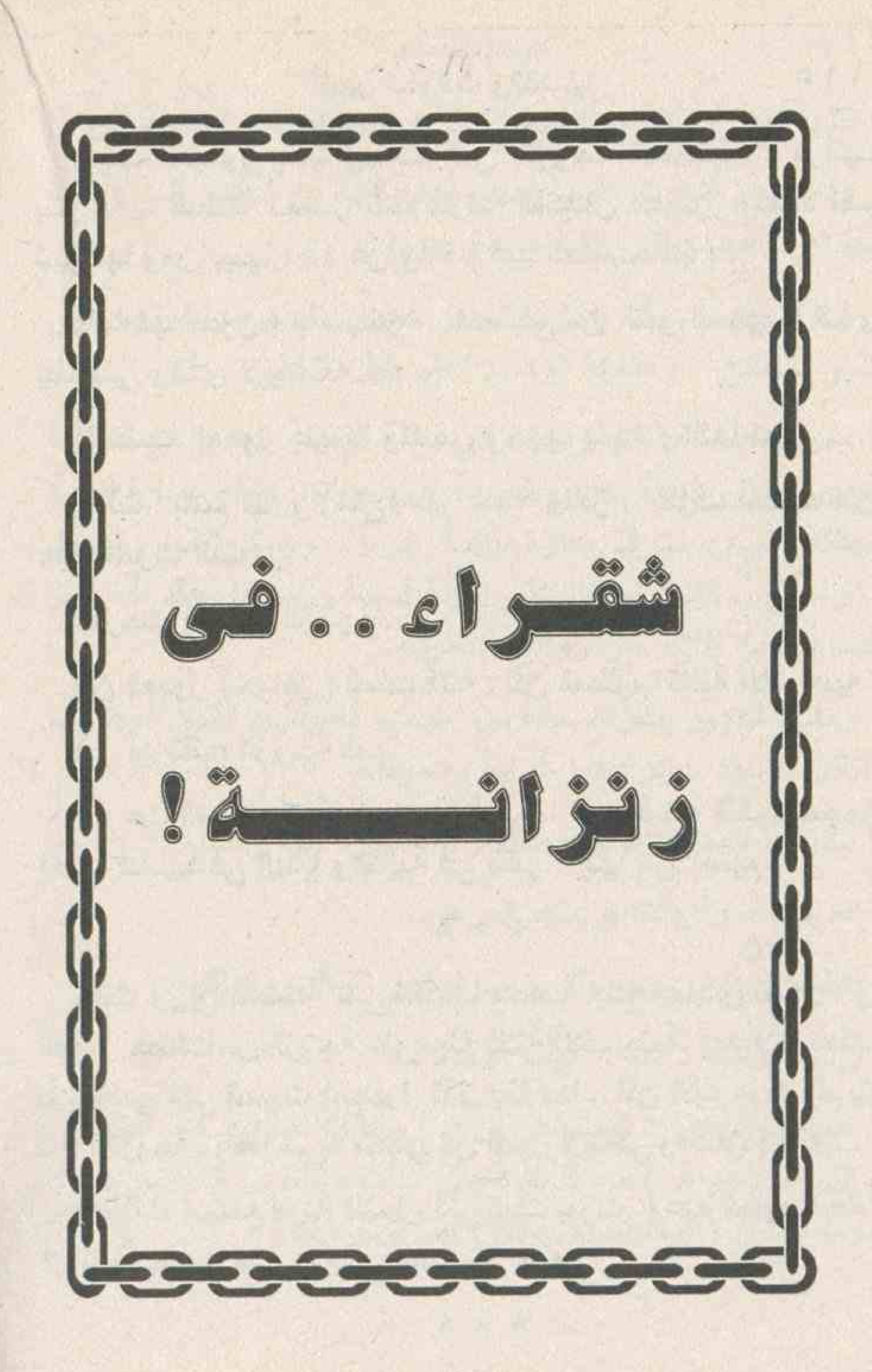
أسرعت العجوز قائلة : ليس من أجلى .. فما قيمة النقود لعجوز إحدى قدميها فى الدنيا والثانية فى القبر ؟ إنها من أجلهم !

★ ★ ★

كانت أوراق القضية التى نظرتها محكمة جنح عابدين تقول : إن العجوز حصلت من الزوجة على مبلغ ثلاثة آلاف جنية بعد أن وعدتها بأن تقضى على الصوت المجهول الذى يطاردها .. لكن الأيام مرت ولم يتم شفاء الزوجة ، وهذا شىء منطقى لأن الدجل لايشفى والشعوذة لاتفيد .

وهكذا لم تستطع قارئة الفنجان التى تنبأت بموت (عبد الحليم حافظ) أن تتنبأ بمصيرها .. وكان الحبس ٦ أشهر !

★ ★ ★



ربما كانت (س) أغرب سجينة التقيتها فى سجن النساء ، ليس لأنها كانت أجملهن على الإطلاق ، وليس لأنها واحدة من بنات الطبقة الأرستقراطية التى يصعب أن تتعود على خشونة حياة السجون ، لكن لأن حكايتها لم تكن حكاية عادية .. ثم لأنها السجينة الوحيدة التى لم تشعر بالسعادة وهم يفتحون لها أبواب الزنزانة قائلين : مبروك .. لقد تم الإفراج عنك !

★ ★ ★

فى زنزانة التقيتها ...

شقراء فى الثلاثين من عمرها ، ملابس السجينات البيضاء لم تستطع أن تخفى رشاقتها التى تميل إلى النحافة ، شحوب وجهها لم يغطى على جمالها الواضح .. متوترة بعض الشىء ، كان هناك هدوء عجيب يستقر فى نظرات عينيها .

لم أكن أعرف عنها سوى القليل مما حدثنى به مأمور سجن النساء بالقناطر .. قال لى إنها دخلت السجن فى قضية عادية ، لكنه سرعان ما اكتشف أنها مدمنة مخدرات فى البداية حاول أن يساعدها فترددت ، لكنها بعد قليل استجابت ، كان لديها من الشجاعة والقدرة على التحمل ما جعلها تقلع تمامًا عن تعاطى المخدر الملعون .. أصبحت إنسانة أخرى تمامًا ، لكنها عندما علمت أنه سوف يتم الإفراج عنها خلال أيام عاد إليها القلق والتوتر .. حتى إنها طلبت منه أن يبقى عليها فى السجن حتى لا تخرج وتعود إلى الإدمان مرة أخرى .

لم تكن متحفظة كما تفعل بعض السجينات فى مثل هذه الظروف .. قالت إنها رغم كل شىء إنسانة متعلمة ومثقفة ، وليس لديها مانع من أن تروى حكايتها مع الضياع والإدمان لعلها تكون عبرة لغيرها .

حلقت السجينة الشقراء بنظراتها فى سقف الزنزانة ، عندما بادرتها بسؤال : من أنت ؟ تنهدت وكأنها تعتصر المرارة من شريط ذكريات حياتها ، ثم بدأت تتحدث فى صوت هامس حزين .

والدى كان رجلاً محترمًا يحتل منصبًا مرموقًا .. أما والدتى فقد كانت ربة بيت ..

نحن ننتمى إلى هذه الطبقة التى يطلق عليها الناس (طبقة الذوات) أو الأرستقراطيين ، نعيش حياة مرفهة . نتردد بانتظام على نادى الجزيرة ، ورغم إننى حصلت على شهادتى الجامعية من جامعة مصرية ، إلا أن معظم إخوتى درسوا فى الخارج واستقروا هناك .. لم أعرف من الدنيا غير الفرح والسرور ، حتى فقدت والدى ووالدتى فى عام واحد منذ سنوات . وورثت عنهما مبلغًا ضخمًا وأراضى وعقارات عديدة .

وكان لى أصدقاء من نفس طبقتى تعرفت عليهم فى النادى ، معظمهم يعيش على هامش الحياة بلا عمل ، ويعتمدون على ثراء أسرهم ، ولا هم عندهم غير التمتع بملذات الحياة . واكتشفت أن بعضهم كان يتعاطى مخدر الهيروين . كنت وحيدة وحزينة بسبب رحيل والدى وأعيش فى حالة ضياع نفسى ، لم يخطر على بالى يومًا أن أتعاطى أى مخدر ، لم أكن حتى قد دخنت فى حياتى كلها سيجارة واحدة .. كانت

المشروبات متاحة فى بيت أهلى . لكنى كنت أخشى أن أتذوقها ، وبدأ أصدقاء وصديقات السوء يلحون لكى أجرب مخدر الهيروين .

تقول لى صديقة : هذا شىء لذيذ للغاية .. وسوف يحلق بك إلى دنيا أخرى .

ويقول لى صديق آخر : سوف يجعلك تنسين أية مشكلة فى حياتك .

وفى البداية ترددت .

لكنى ذات يوم وكنت فى حالة نفسية سيئة للغاية ، ضعفت مقاومتى .. وقلت لهم : لا مانع عندى .. من التجربة مرة واحدة !

تتنهد (س) فى أسى .. وتقول : ليتها كانت مرة واحدة .. ليتنى عرفت أن هذا النوع من المخدرات لا توجد فيه مرة واحدة .

سألتها :بماذا شعرت بعد أن تناولت الهيروين لأول مرة فى حياتك ؟

قالت : تقصد بعد (أول شمة) .. شعرت إننى غير قادرة على التركيز .. وأعترف أننى أيضًا شعرت بإحساس غريب .. لم يعد هناك شىء يمكن أن يضايقنى . نسيت كل شىء .. عدت إلى المنزل تقيأت .. ولم يتركنى أصدقاء السوء .. فى اليوم التالى عرضوا على تعاطى الهيروين عن طريق الحقن .. وأعطونى سنة مخففة ، وأصبت بالقىء الشديد بعدها مباشرة .. ثم أخذونى إلى بيتى ، حيث رقدت على فراشى هائمة فى اللاشىء .. فظللت فترة طويلة غير قادرة على النوم ثم استغرقت فى نوم عميق كأننى دخلت سردابًا مظلمًا لا نهاية له ، ثم بدأت أتعاطى حقنة هيروين كل يوم ولمدة أسبوع ، وبعدها لم أصب بنفس الأعراض والتعب .

وهل كان أصدقاؤك يعطونك الهيروين مجانًا .

أول وثانى مرة فقط ..بعدها قالوا لى إن هذا المخدر مرتفع الثمن ، ويباع بكميات ضئيلة فى عبوة يسمونها (تذكرة) قد يصل ثمنها إلى مائة جنيه ، قالوا إنهم اشتروا كمية تكفى (الشلة) لمدة أسبوع ، فوجدت نفسى أدفع لهم ثمن ما أتعاطاه ، دون أن أدرى أننى أدفع ثمن ضياعى .

أسألها : هل دخلت عالم الإدمان بسهولة هكذا ؟

تقول : الحقيقة إننى بعد أسبوع بدأت أشعر بالقلق والخوف من الإنزلاق إلى طريق لا أعرفه .. فقررت السفر إلى الإسكندرية كنوع من الهروب ، ولكنى لم أتحمل غير يومين اثنين ، ثم بدأ جسدى يؤلمنى ويصرخ مطالبًا بالهيروين ، فاتصلت بهم وأنا فى حالة ضعف شديدة ، فحضروا واشترينا كمية بسيطة من الهيروين تعاطيناها ، ثم أسرعنا بالعودة إلى القاهرة . حيث بدأت أتعاطى الهيروين بانتظام ودخلت عالم الإدمان .

- كيف رأيت هذا العالم ؟

هو عالم ضياع .. كل المدمنين ضائعون .. للأسف اكتشفت أن كثيرًا منهم من خريجى الجامعات ويحتلون وظائف طيبة .. منهم الطبيب والمهندس .. هذا المخدر لا يعترف بالشهادات .. بمجرد أن تتعاطاه تصبح عبدًا له .. ويصبح الهيروين المطلب الأساسى فى حياة المدمن ، وأى شىء بالنسبة له لا قيمة له ، قد يتخلى المدمن عن أعز مقتنياته ومجوهراته مثلاً فى سبيله .

المهم أننى أصبحت امرأة مدمنه وتغيرت حياتى تمامًا ، أو بالأدق بدأت حياتى تضيع منى ، وبدأت أعيش حياة أخرى غير حياة (البنى آدمين) العاديين عندما أستيقظ من نومى فى الصباح أشعر بنفسى متعبة .. عظامى تؤلمنى .. عقلى غير قادر على التركيز .. أصوات غريبة تدوى فى أذنى .. أجد نفسى غير قادرة على الكلام مع أى إنسان قبل أن أتعاطى (جرعة الصباح) .. بعدها أشعر أننى عدت طبيعية .. وأستطيع مغادرة الفراش والبيت .

- إذن .. لقد جربت المخدر حتى لا تصبحى طبيعية .. ثم أدمنت عليه حتى تصبحى طبيعية ؟

- هذا ماحدث معى بالضبط .

أسألها فى فضول : وهل ظللت تتعاطين نفس جرعة المخدر التى بدأت بها ؟

تقول (س) فى البداية كنت أتعاطى حقنة نصف سنتيمتر مخففة ، ثم بدون تخفيف ، ثم تدرجت إلى سنتيمترين ، ثم إذابة جرامين من الهيروين فيها .

وهل ظللت على علاقتك بنفس الأصدقاء الذين قادوك إلى طريق الهيروين ؟

ابتعدت عنهم بعد أن تعرفت إلى غيرهم ، الهيروين يقود المدمن إلى المدمن ، ولقد اكتشفت أن الكثيرين من أبناء (طبقتى) يتعاطونه ، هذا غير النوعيات الأخرى من المدمنين .

هل راح أحد ممن عرفتهم من المدمنين ضحية المخدرات ..

نعم .. عرفت شابًا مهذبًا للغاية لم يكن به أى عيب سوى إنه مدمن .. وقد سافر ذات يوم إلى إحدى المدن الساحلية لشراء الهيروين لكنه عمل بسيارته حادثًا أليمًا فى طريق عودته .. وأصيب إصابات بالغة توفى بعدها بشهر .. أيضًا تعرفت إلى شاب يعمل فى أحد الفنادق .. وكان قد عولج لفترة من الإدمان .. وكان والده يصطحبه كل يوم بالسيارة إلى الفندق الذى يعمل به ثم يعيده .. وذات يوم وبينما الأب ينتظره فى ردهة الفندق فوجئ بسيارة بسيارة اسعاف تنقل شخصًا إلى المستشفى على وجه السرعة .. واكتشف أن هذا الشخص هو ابنه الشاب الذى تعاطى أثناء عمله (جرعة زائدة) من الهيروين .. ومات فى المستشفى خلال ساعات .. وسمعت عن فتاة أخرى تسكن قريبًا منى فقدت حياتها أيضًا بسبب جرعة زائدة .

وتكمل (س) حكايتها المؤثرة .. فتقول : بعد حوالى العام من إدمانى تعرفت على زوجى الذى كان أيضًا من نفس مستواى الاجتماعى ، كان مدمنًا مثلى وكان يعلم إننى مدمنة ، وجعلنا الحب نتفق على الإقلاع عن الإدمان والابتعاد عن هذا الجو الفاسد .. قررنا الزواج والسفر إلى دولة أوروبية .. وتزوجنا وسافرنا وعشنا شهور فى سعادة .. وأنجبت طفلى الوحيد وبدأت أشعر أننى عدت إلى الحياة من جديد .. رغم أننى ظللت لفترة أنام وأحلم بالهيروين .. وعندما أستيقظ أشعر بأننى مجنونة .

ـ كنت إذن تعانين من الحنين إلى المخدر ؟

ـ معاناة صعبة لا يمكن وصفها .

ـ كم كان وزنك قبل الادمان ؟

ـ كان وزنى ٦٤ كيلو جرامًا .. وأنقصنى الادمان إلى خمسين كيلو جرامًا .

ـ ألم تشعرى بالخوف على طفلك وأنت ووالده كنتما من المدمنين ؟

الحقيقة إننى شعرت بالخوف .. وعرضت نفسى على بعض الأطباء فى أوروبا لمعرفة نسبة المخدر فى دمى .. لكنهم وجدوها نسبة ضعيفة .. وأعترف أننى قبلها فكرت فى الإجهاض لكن الطفل جاء سليمًا والحمد للّه .. وعدت إلى مصر بعد إنجابه بشهرين .. وبدأت مع زوجى ننصح أصدقاءنا المدمنين ليحاولوا الإقلاع مثلنا .. لكنهم للأسف بدءوا من ناحيتهم إغراءنا بالعودة إلى المخدر من جديد !

كيف ؟

كانوا يتعاطون الهيروين أمام أعيننا .. وهكذا بدأنا نشعر بالحنين إليه .. ثم أخذوا يتحدثون عن أصناف جديدة منه قوية المفعول .. وهكذا بدأت إرادتنا تضعف .. وفى إحدى المرات قررنا أن نتعاطى لمرة واحدة .. بعد أن أقلعنا عن الإدمان عامًا ونصف العام .. وفى السيارة تناولت وزوجى جرعة الهيروين .. وانتابنا شعور جميل .. بعدها بأيام

تشاجرت مع زوجى مشاجرة زوجية عادية .. وفوجئت به يترك البيت ويذهب لشراء هيروين ثم عاد وتعاطاه .. فقررت أن أتعاطى مثله .. وهددته بإنه إذا لم يوافق فسوف أخبر والده .. فعاد إلى تاجر المخدرات واشترى لى جرعة .. وهكذا عدنا إلى الإدمان .. وأصبحنا نتعاطى الهيروين كل يوم !

ـ هنا .. أنا التى أشعر بالأسى !

ـ وسألتها متعجبًا : وطفلك ؟

تقول : امتنعت عن رضاعته .. كنت أعلم الخطر الذى يمكن أن أعرضه له إذا أرضعته وأنا أتعاطى المخدر ، الذى قتل سعادتى الزوجية .. وبدأت أشعر بالكراهية تجاه زوجى .. وأقول لنفسى إننى لو كنت تزوجت شخصًا غير مدمن لكان قد ساعدنى وأعادنى إلى الطريق الصحيح .. وبدأت لا أحترمه وأعامله معاملة سيئة .. حتى إننى طلبت منه المخدر وأنا فى حالة عدم قدرة على اتخاذ قرار نتيجة إصابتنا بحالة شلل فى التفكير .

ـ كيف لامرأة جميلة مثلك تسمح لنفسها بأن تشوه جمالها بيديها .. عن طريق هذه الحقن المستمرة ؟

المدمن سرعان ما يفقد إحساسه بالأشياء العادية .. بعد أن أدمنت لم أعد أفكر فى جمالى أو مظهرى .. كل ما كان يغيننى هو الحصول على الهيروين .

ـ بعض الشباب يعتقد أن لهذا المخدر علاقة بسعادته الزوجية ؟

ـ ربما فى البداية للحظات .. لكنهم للأسف بعد ذلك ينتهون تمامًا كرجال .. ولا يستطيع الهيروين أن يفعل لهم شيئًا .

ـ هل تعرضت بسبب إدمانك لمواقف محرجة ؟

ـ المخدرات تضع المدمن فى مواقف كثيرة صعبة .. يجد نفسه مضطرًا للتعامل مع كل نوعيات البشر .. من المدمنين وتجار المخدرات وغيرهم .. ذات يوم هاجمنى إلحاح المخدر وكنت أقود سيارتى .. توقفت وأعطيت نفسى الحقنة .. كانت الجرعة زائدة ، لم أشعر بنفسى وفقدت الوعى .. نقلنى الناس إلى المستشفى .. وتمكن الأطباء من إنقاذى فى الوقت المناسب .. ولم أجد معى نقود أسدد بها فاتورة المستشفى فتركت لديهم خاتمى الماسى .

ـ كيف دخلت السجن ؟

ـ صدمت شخصًا بسيارتى .. الحمد للّه إنه أصيب إصابات بسيطة .. لكن صدر حكم بحبسى ثلاثة أشهر .

كيف كان إحساسك عندما خطوت بقدميك داخل هذا السجن ؟

ـ أفظع إحساس شعرت به بالحاجة لتعاطى المخدر .. ذهبت ببساطة إلى بعض السجينات المحبوسات فى قضايا مخدرات وطلبت منهن مساعدتى .. نظرن لى فى شك وريبة ..

اعتقدن إننى مرشدة للبوليس .. لكنهن عندما تأكدن من أمرى أبلغننى بإشفاق باستحالة حصولى على الهيروين فى السجن .. وهكذا

لم أجد مفرًا من مصارحة طبيب السجن بعد أن شعرت بانهيارى بأننى مدمنة .. وأبلغ الطبيب مأمور السجن الذى فوجئت به يحضر لمقابلتى .. ويعرض على أن يتم علاجى من الإدمان داخل السجن وأن يكون ذلك بشكل سرى ، وتأثرت للغاية من إنسانية الضابط .. وبدأت العلاج وكنت فى البداية أشعر برغبة جامحة فى النوم لساعات طويلة ، ثم تمكن أطباء السجن من أن يسحبوا المخدر من جسدى ، المسألة فى جوهرها نفسية .. لقد ساعدوا إرادتى ثم بدءوا يعالجوننى بالعقاقير .. ويومًا بعد يوم بدأت أستجيب للعلاج وخرجت إلى فناء السجن وشعرت أننى أرى الشمس وأشم الهواء النقى لأول مرة .. إننى ولدت من جديد .

لكنك عندما علمت بخبر الإفراج عنك بعد أيام طلبت من مأمور السجن أن تظلى فى الزنزانة ؟

نعم .. شعرت بالخوف من أن أعود ثانية إلى نفس دائرة أصدقاء الإدمان .

ـ فماذا إذن حدثتنى فى هدوء .. قالت لى : إن القدر وضعنى فى السجن ليكون آخر محطات الضياع .. وإننى حصلت على فرصة عمرى بعد انسحاب المخدر من دمائى تمامًا ، ثم أبلغتنى بخبر جميل وهو أن زوجها بدأ فى الخارج العلاج من الإدمان .. وهكذا

أصبح لدى هدف فى الحياة وهو أن أخرج لأساعد زوجى وأرعى طفلى .. وألقى خلف ظهرى بهذه الصفحات السوداء من تاريخ حياتى .

بعد أسابيع ..

علمت أنها غادرت السجن ..

فهل نفذت وعدها ؟

وهل هزمت المخدر إلى الأبد ؟

★ ★ ★

أشهر الحوادث والقضايا

الحوادث العنيفة والقضايا المثيرة التى روّعت الناس وصدمت المشاعر

فهرس الكتاب « جرائم النساء »



الثمن فى مصر ٣٠٠ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



